صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع



العدد الثانى
من
السنة السابعة

فبراير ١٩٣٨

المسيحية فى مختلف الاقطار

جاء فى كتاب « دخول قبط مصر فى النصرانية » لتقى الدين المقريزى ما يلى عن النسطورية :

« ثم أقيم على بطركية الاسكندرية كيرلس «سنة ٤١٢» فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات . وفى أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى بسبب نسطوريس بطرك قسطنطينية . فانه منع أن تكون مريم أم عيسى . وقال : انما ولدت مريم انساناً اتحد بمشيئة الله . يعنى عيسى . فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات . وان اطلاق « الاله » على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالهبة والكرامة . وقال فى خطبته يوم الميلاد « ان مريم ولدت انساناً وأنا لا أعتقد فى ابن شهرين أو ثلاثة الالهية ولا اسجد له سجودى للاله . فلما بلغ كيرلس بطرك الاسكندرية مقالة نسطوريس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع .. فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة افسيس . فاجتمع بها مائتا اسقف وامتنع نسطوريس من المجىء بعد ما كرروا الارسال فى طلبه غير مرة . فنظروا فى مقالته وحرموه «سنة ٤٣١» ونفى الى الصعيد فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها . وظهرت مقالته فقبلها برصومة اسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية »

وتقى الدين المقريزى الذى نقلنا عنه هذه الكلمة الموجزة عن نسطوريس مؤرخ مصرى مسلم وقد توفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ أى ١٤٤٢ م وما نقلناه يبين لنا الفكرة السائدة عن البدعة النسطورية فى القرن الخامس عشر الميلادى . ومن عجيب أمر هذه البدعة انها تفشت فى الشرق فبلغت الصين

والهند . وقبل سبعة أعوام زارنى طالب هندى مسيحى من جزيرة سيلان . فظننت لاول وهلة أنه اعتنق المسيحيـة على أيدى المبشرين من الانجليز والامريكيين ولـكنه أخبرنى أنه نسطورى وان المسيحية دخلت سيلان فى القرن الخامس على أيدى النسطوريين . ويرى القـارىء هنا صورة صينية للمسيح رسمت فى القرن السـابع للميلاد . ومع المسيح قسيسان نسطوريان . والملامح فى الوجوه الثلاثة صينية . فان الاضطهاد الذى وقع بالنسطوريين عقب اعتقال زعيمهم شتتهم فاتجهوا صوب الشرق وتفشوا فيه . وكان جميع المسيحيين فى جزيرة العرب نسطوريين وآمنوا بالاسلام عند ظهوره أو رحلوا عن الجزيرة صوب الشرق أيضاً

صورة صينية للمسيح ومعه قسيسان نسطوريان
(القرن السابع)

والمتأمل للرسوم التى رسم بها المسيح أو العذراء فى مختلف الامم يجد الطابع الخاص لكل من هذه الامم فى وجه المسيح أو وجه العذراء . فكما وجدنا أن الصينيين قد رسموا المسيح صينياً كذلك رسمه الايطاليون ايطاليا والاقباط قبطياً والاتراك تركياً لأن هؤلاء جميعهم قد اعتمدوا على الخيـال الذى يرتبط بالبيئة . وهذا الخيال يتفق وما يفهمه الرسام من معانى التقوى والصلاح . فان هنا رسما تركياً يرجع الى منتصف القرن السـابع عشر « ١٦٥٠ » تقريباً قد بدا فيه المسيح بهيئة الصوفيين الدراويش الاتراك . ومن فوقه رسم للاسكندر المقدونى كأنه سلطان تركى


صورة تركية للمسيح وفوقه صورة للاسكندر المقدونى (القرن السابع عشر)

أما الرسم الثالث فعجيب حقا . فان أحد الاقباط رسمه لـكى يمثل المعجزة المشهورة وهى احياء اليعازر من الموت . وهذه الصورة رسمت فى القرن السادس

الميلاد . وكان الاقباط على الرغم من سيادة المسيحية لايزالون يحنطون موتاهم . ولهذا السبب يرى القارئ صورة العازر الى اليمين وهى مومياء ملففة . والصورة منحوتة فى العاج . وقد جهل الرسام أن اليهود لم يكونوا يحنطون موتاهم على الطريقة المصرية فاتبع خياله . وهو خيـــال مصرى خاضع للبيئة المصرية . ولم يمح التحنيط من مصر إلا بعد أن تغلب عليها الاسلام

الى اليسار

صورة قبطية للمسيح وهو يحيى العازر
(القرن السادس)

من اجل أصدقائك

ديون : التوأمات الخمس

أسرة ديون هي الاسرة الكندية الفرنسية التي انجبت خمس توأمات كلهن بنات . وليس على الكرة الأرضية أسرة أخرى لها هذا العدد من التوأمات الاثنيات أو التوائم الذكور . والعناية بتربيتهن كبيرة اذ لهن طبيب خاص يشرف على غذائهن ونموهن في صحة بعيدات عن الأمراض . ولما تفشى حولهن أحد الامراض التي تصيب الاطفال منع هذا الطبيب — وهو الدكتور دافو — ابويهن من زيارتهن . وهو يصر على أن ينمن ١٤ ساعة في اليوم ويدهن أجسامهن بزيت الزيتون قبل أن يخرجن في الهواء البارد ويطعمن كثيراً من الخضروات واللبن . وهن لا يأكلن من اللحم سوى القليل جدا من لحم الخنزير والكبد . ومع أنه قد وقف عليهن مائة ألف جنيه فانهن يعودن خدمة أنفسهن بمساعدة قليلة من المربية . وهن



توأمات ديون الخمس مع طبيبهن الخاص الدكتور دافو

ينمن في الظلام ولا يعرفن معنى الخوف بتاتا اذ لم تقص عليهن قصة بعبع او عفريت . وقد منعت عنهن الحلويات بأصنافها اعتقادا بأن السكر يضعف المقاومة . ولكن يضاف الى طعامهم سكر الذرة وهو قليل الحلاوة لا يبعث على اشتهاء الزيادة منه . وقد منعت عنهن الكلاب والقطط خشية العدوى

بياتريس ويب

امرأة انجليزية يجب أن يعرفها رجالنا

احتفل المثقفون الانجليز بمرور ثمانين عاما على السيدة بياتريس ويب زوجة اللورد باسفيلد الذى يبلغ الآن ٧٩ عاما . وهذا اللود باسفيلد هو الذى كان المستر سدنى ويب . فلما نال عضوية اللوردية رفضت زوجته أن تسمى « الليدى باسفيلد » واحتفظت باسمها الديمقراطى المسز ويب . وهنا مغزى للزوجات الشرقيات اللاتى يدفعن أزواجهن إلى الظهور بالمظاهر الارستقراطية ولو كان فى ذلك خرابهم المادى والمعنوى

وبياتريس ويب من الشخصيات التاريخية الانجليزية . فانها نشأت فى بيت من البيوتات الانجليزية المعروفة بترف العيش وترف الذهن . وكان هربرت سبنسر من الضيوف المألوفين عند أبويها . واتجه ذهنها الى الدرس الجدى من محادثاتها مع هـذا الفيلسوف الذى غمر النصف الثانى من القرن التاسع عشر بتفكيره عن التطور حتى دعاه داروين « فيلسوف التطور »

وكان لبياتريس قريب غنى يدعى تشارلس بوث أراد ان يقاوم الدعاية الاشتراكية بتأليف كتاب كبير عن الأحوال التى يعيش فيها العمال وعيالهم فى لندن . فعرضت بياتريس على قريبها أن تقوم بهذه المهمة . والغاية التى قصد اليها هذا الغنى كما قلنا كانت مقاومة الاشتراكية عن طريق اثبات الأحوال الحسنة التى يعيش فيهـا العمـال وأن مايقال عن ارهاقهم بالعمل ساعات كثيرة وانحطاط أجورهم وسوء مسا كنهم انما كل ذلك أكاذيب لا أصل لها . ولـكى تعرف بياتريس الحقائق باشرت بنفسها العمل فى المصانع والسكنى فى أحيـاء العمال فاتخـذت ملابسهم وأكلت طعامهم وسكنت معهم وجعلت تعمل بيديها فى المصانع المختلفة وتجمع كل ماتستطيعه من حقائق ملموسة قائمة على التعـامل والمعاشرة . ثم خرج الـكتاب فاذا به على النقيض مما قصد اليه المستر

تشارلس بوث واذا به يؤيد دعوى الاشتراكيين من سوء الاحوال التى يعيش فيها العمال وعيالهم

وخرجت بياتريس ويب من هذا البحث الذى قامت به وهى اشتراكية صميمة . وانضمت الى الجمعية الفابية . وهذه الجمعية مؤلفة من رجال ونساء الطبقة المتوسطة الذين يقتصرون على الدرس دون العمل السياسى . فهم يؤلفون الكتب والرسائل ويلقون المحاضرات فى شرح الأحوال الاقتصادية وآثارها الاجتماعية . ولاتزال الى الآن عضوا فيها مع زوجها المستر سدنى ويب الذى صار منذ ثمانى سنوات لورداً إذ جعلته وزارة المستر مكدونالد وزيراً وأدخلته مجلس اللوردة

وبياتريس ويب هى التى طلبت يد زوجها أو هذا على الأقل هو الذى يشاع ويقال . والاشاعة تصدق من هيئة بياتريس بالمقابلة الى هيئة زوجها . فانها امرأة نحيفة متفززة صاحية الذهن والعين . أما هو فرجل هادئ ساكن يتاقى الايحاء ولايلقيه . وقدعاشا الى الآن معاً أكثر من أربعين سنة وإندمجت شخصيتاهما فى كيان واحد . فان المؤلفات تخرج من بينهما وعليها أسماهما فلا تستطيع أن تميز الطابع الذى يسم أحدهما دون الآخر . وهذه المؤلفات تخرج قوية كاملة فى الثقافة الاقتصادية والاجتماعية . فانهما لايؤلفان فى القصص أو الفنون اللذيذة التى تستهوى النفس ويستصغر المؤلف فيها كل مجهود أزاء لذة العمل

فان مؤلفات الزوجين تتناول « تاريخ الحكومة المحلية فى إنجلترا » و« قانون الفقراء » أى درس القوانين التى تساعد بها الحكومة الفقراء . وأمثال ذلك من المواد الجافة . وقد كان للزوجين الشأن الاكبر فى انشاء مدرسة لندن الاقتصادية التى رسمت خططاً جديدة فى البحوث الاقتصادية القائمة على معاينة المصنع والبيت والمدينة وليس على التفكير فى النظريات تحت ضوء المصباح فى المكتبة الهادئة كما هو الشأن بين من يسمون أنفسهم فلاسفة

وقبل عام قصد كلاهما الى روسيا وهناك عمدا الى الدرس المباشر يزوران المصانع ويدخلان المكاتب ويجولان فى المزارع . وأخرجا كتاباً هو الآن حجر الزاوية فى نظام الحكم الروسى

وقد جاد انتاجهما وكثر للعمر الطويل الذى عاشاه وخاصة لأنهما لم يعقبا نسلا . وهذا العمر الطويل هو من عجائب الانجليز خاصة ساستهم وقادتهم فى الفكر والعمل . فان الساسة والقادة عندنا قد يبلغون الستين أو الخامسة والستين حتى نجد امارات التهدم واضحة على أجسامهم . وانظر مثلا الى

نسيم باشا وزيور باشا . اماهما فهما الآن فى الثمانين وهما ينتجان ويعملان ويعيشان . بل لعل شباننا الذين يقيلون عقب الغداء يجهلون أن هذين الشيخين لايعرفان نوم القيلولة . والسبب واضح وهو أنهما لايأكلان طعاما دسما ولا يسمنان ووجبة الغداء فنجان شاى مع لقمة أو بلا لقمة

وقد خدم كلاهما الاشتراكية أعظم الخدمة اذ نقلاها من محيط العمال الى محيط الطبقات المتوسطة والاغنياء حتى صار يعتنقها النبلاء وأصحاب الالقاب من اللوردة . وقد تغلغلت المبادىء الاشتراكية الى نظام الدولة البريطانية التى تعرف من نظام الحكومة المحلية ومن نظام التأمين الاجتماعى ضروبا من الاشتراكية تعود بالخير العميم على جميع السكان . وكثير من الفضل فى ذلك يعود الى بياتريس ويب وزوجها اللورد

وان مصر بل الشرق كله ليغدو سعيدا حين يكون فى كل مليون من سكانه زوجان فقط يرصدان حياتهما للخدمة العامة البارة التى لاتنبعث الا من محض الرغبة الصادقة فى مكافحة القبح والمرض والفقر والدعارة دعارة الجسم ودعارة النفس

ان الشرق يعرف الجواهر يملكها الاغوات والباشوات ويعرف القصور تحتوى مئات الغرف يسكنها الامراء والنبلاء ويعرف الأبهة والفخفخة فى الالقاب ولكنه لايعرف البر بسواد السكان ولايبالى ان يرى الفقر بأثاره القاتلة الفاجعة فى النساء والرجال والاطفال لانه الى الآن يخلو من امثال بياتريس ويب وسدنى وب



معركة الخبز في انجلترا

ومغزاها لنا فى مصر

من المبتكرات الحديثة فى الاعلانات أن يجتمع التجار لصنف معين من البضاعة ويعلنوا عنها جماعة حتى يقبل عليها الجمهور ويزيد الاستهلاك . كما يعرف القراء من الاعلانات التى تنشر هذه الايام ومنذ عام عن الشاى . فان هذه الاعلانات لاتعين لنا صنفاً منه ولا تقول اشربوا الشاى الهندى واتركوا الشاى الجاوى أو الصينى . ولا تقول اشتروا الشاى الموسوم باسم كذا أو الذى يبيعه فلان فى شارع كذا . وانما هى تقتصر على التحريض لنا على أن نشرب الشاى مهما كان أصله أو اسمه أو بائعه . وهذه الاعلانات تقوم بها الشركات الكبرى التى تزرع الشاى وتتجر به فى العالم كله

وقد حدث فى انجلترا ان اخذ كثير من الجمهور — وخاصة السيدات — يحجم عن تناول الخبز الا فى قلة محسوسة . وكان الباعث على ذلك سيادة الآراء القائلة بأن السمن يشوه الجمال فى النساء وانه أيضاً عبء على الصحة . وان القوام الجميل والصحة الحسنة يقتضيان النحافة . ولما كان الخبز أعظم مايدعو الى السمن فقد أحجم عنه الجمهور . وشعرت المخابز بالكساد فأخذت تعلن جماعة — على طريقة الاعلان عن الشاى — عن فوائد الخبز . ولكن الاعلان لم يكن مقصوراً على الوعظ . فانه كان أحيانا يحتوى وصفة لصنع ساندويتش بالجبن أو اللحم أو بعض الاطعمة الاخرى . وكل ساندويتش يحتوى شريحتين من الخبز . .

ولكن ازاء هذه الاعلانات هبت المجلات الطبية والصحية تشرح ضرر الخبز أى الضرر الناشىء من كثرة الاعتماد عليه فى الطعام اذ هو العلة الكبرى للسمن . ودخل الدكتور اربوثنوت لين فى المناقشة فقال انه يجب أن يمنع صنع الخبز من الدقيق الابيض وأن على الحكومة ألا تجيز بيع أى خبز الا اذا كان أسمر يحتوى دقيقة نخالته أى ردته . وحجة الدكتور لين أن الخبز الأسمر يحتوى فيتامينات لا توجد فى الدقيق الأبيض . وأنه يمنع الاكثار من الطعام فلا يعد الجسم للسمن الناشىء من الجشع الزائد وأنه أيضا يقى الامعاء من الامساك . ومن الامثلة التى ذكرت أن الخبز الاسمر عم

صنعه مدة الحرب الكبرى فى دنمركا بدلا من الخبز الابيض . وكان الدكتور هند هيد الخبير الغذائى هو الذى أشار على الحكومة الدنمركية بذلك عندما وجد أن الدقيق الابيض قد احتكره تجار يبعونه لألمانيا بالأثمان العالية فلا يجد الدنمركيون حاجتهم منه بالأثمان التى فى استطاعتهم أداؤها . فرأى الدكتور هندهيد أن يخلط الدقيق الابيض بالدقيق الاسمر فيخفض الثمن ويتمكن الفقراء من شرائه مثل الاغنياء . ومنع بيع الدقيق الابيض بتاتا . وكانت النتيجة — فضلا عن انخفاض الثمن — ان جادت صحة السكان ونقصت الاصابات بالبول السكرى . وهذا هو مايدعى اليه الآن فى انجلترا

وفى مصر تتنافس المخابز فى صنع الخبز الأبيض . ونحن نقبل على الخبز اقبالا عظيما اذ هو يكون معظم طعامنا . ومما لاشك فيه أن كثيراً من الاصابات بالبول السكرى يعزى الى اكثارنا من أكل الخبز . ولو كنا نقل من أكله على نحو ما يفعل الاوربيون ونكثر من الخضراوات لما فشا بيننا البول السكرى الذى لاتكاد تخلو منه أسرة متوسطة أو غنية . أما الفقراء فينجون منه لانهم من جهة يعملون بأيديهم ولا يقضون وقتا طويلا فى الركود الجسمى الذى هو حظ المتوسطين والأغنياء ومن جهة أخرى يأكلون خبز الذرة مع نخالته أى ردته

وقد اقترح خبير غذائى بقصر العينى من مدة قريبة أن يصنع خبزنا مخلوطا من دقيق القمح والذرة والحلبة . وفى ألمانيا منع صنع الخبز من القمح وحده اذ يجب أن يكون مخلوطاً بالذرة . والغاية اقتصادية ولكن الفائدة الصحية ترافق الفائدة الاقتصادية هنا

وأعظم مانحتاج اليه فى مصر أن تؤسس مخابز للفقراء من العمال المياين فى المدن الكبرى تصنع خبزاً رخيصاً يساغ طعمه ولا تنبو العين عن لونه بحيث تباع الأقة منه بثمانية أو بعشرة مليمات . فان من الغبن بالفقراء أن يطالبوا بأداء الثمن الذى يؤديه الاغنياء للخبز ويجب ألا ننسى أنهم لقلة اللحم أو الخضراوات التى يشترونها يأكلون خبزاً كثيراً

فلهذا يجب أن نوفر لهم هذه المادة بثمن منخفض . فلماذا مثلا لا يصنع لهم خبز من الذرة المخلوطة بالحلبة أو القمح أو الرز ؟ بل لماذا لا يباع الخبز الاسمر فى القاهرة بأثمان منخفضة حتى يجد فيه الرجل السمين الذى يخشى البول السكرى أو الذى وقع فيه غذاء حسناً يقيم به صحته ؟

وفيات الاولاد أكثر من وفيات البنات

فما هي الأسباب ؟

فى الخلايا الحية توجد جسيمات مختلفة ينسب الى وجود بعضها فى الخلية ما يسبب ظهور عوامل وراثية معينة كما أنه ينسب الى بعضها الآخر تمييز جنس من آخر ، الانثى من الذكر . هذه الجسيمات تعرف بالكروموزومات

وفى الخلايا العادية للانسان « غير الجنسية » توجد هذه الكروموزومات أزواجا ويكون أحد الكروموزومين مأخوذا عن الأب والثانى عن الأم .

والكروموزوم المسمى « س » هو المميز للجنس فى حالة الانسان ، ويوجد أزواج فى الخلايا الجنسية للانثى . أما فى الذكر فيوجد فى الخلية الجنسية كروموزوم « س » مع آخر « ص » وهذا الاخير أقل من الاول حجما وليس له تأثير فى العوامل الوراثية .

ومن هذا نستخلص أن الخلية الجنسية عند المرأة فيها الكروموزومات على صورة « س س » أما فى الرجل فتكون الكروموزومات على صورة « س ص » . وفى بعض الانواع الحيوانية ينعدم فى خلايا الذكر الكروموزومات المميزة للنوع . فعند الاخصاب يحدث ما يلى :

س « من الخلية الذكرية » مع س « من البيضة »

= س س فيكون الجنين أنثى

أو ص « من الخلية الذكرية » مع س « البيضة »

= س ص فيكون الجنين ذكرا

ونتيجة للأثر الكمى للعوامل الوراثية تغلب عوامل الذكورة أو الأنوثة على الجنين فينشأ ذكراً أو أنثى نتيجة لذلك . ومع هذا فيلزمنا أن نذكر أن كل أنثى تأخذ كروموزوم س عن الام وكروموزوم س آخر عن الاب أما الذكر فيأخذ الكروموزوم س عن الام فقط ولا يأخذه عن الاب ، ربما كان فى ذلك شأن كبير فى توضيح السبب فى أن المشابهة بين الولد وأمه أكثر منها

بين الولد وأبيه »

قلنا أن الكروزومات يحمل بعضها عوامل وراثية، ولكن هذه العوامل منها المتنحية ومنها الغالبة ويزول أثر العوامل المتنحية اذا وجدت فى الكروموزومات العوامل الغالبة المقابلة لها

فمثلا اذا وجد فى الكروموزومات العوامل التى تورث العيون الزرقاء، وفى نفس الوقت العوامل التى تورث العيون السوداء فان الأخيرة تتغلب على الاولى وتكون أعين الجنين سوداء

واذا كانت الأنثى تحمل فى واحدة من كروموزومات الخلايا الجنسية عوامل متنحية . خذ مثلا العامل المسبب لتوريث مرض الهيموفيليا « عدم تجمد الدم فى حالة النزف بسهولة » .

فهذه الامرأة اذا تزوجت رجلا عاديا فما يحدث يمكن توضيحه هكذا « الرمز « س ه » يدل على الكروموزوم الذى يحمل عامل توريث الهيموفيليا »

الأم	الأب
س	س
س ه	ص

الاولاد س س ، س ص ، س ه س ، س ه ص

وعلى ذلك فنصف الذرية سيحمل هذا العامل

ولكن الاناث من الذرية سيكون مع الكروموزوم الذى يحمل هذا العامل كروموزوم «س» آخر وهو غالب بالنسبة الى «س ه» المتنحى فلا يظهر هذا المرض فى الاناث مطلقا أما فى الذكور فالكروموزوم «س ه» اذا كان موجودا فانه يكون بمصاحبته كروموزوم « ص » وهذا لا تأثير له فتظهر الصفة الوراثية ويظهر هذا المرض فى بعض الذكور . أما الاناث فلا تظهر فيها المرض وانما فقط تحمله الى الذرارى المتعاقبة فى هذا المثال.

وقد يحدث أيضا ما أظهره العلامة مورجان فى أبحاثه عن ذبابة الفاكهة أنه قد تكون هناك اختلافات كبيرة بين قدرة أفراد العائلة الواحدة على الحياة ، وهذه الاختلافات تنشأ عن تغيرات فى العوامل الوراثية تؤدى الى جعل المتغير متنحيا بالنسبة للعامل العادى

ومن العوامل الوراثية التى تحملها الكروموزومات تلك العوامل التى تسبب طول حياة الافراد وقصرها .

وقد يكون أثر هذه العوامل فى منتهى القوى فتسمى مميتة وتجعل الجنين غير قادر على الحياة مطلقاً وقد تكون نصف مميتة فلا يقوى الفرد حينئذ على الحياة إلا فى ظروف صحية مناسبة للغاية ـ وقد تكون هذه العوامل مما يقلل قدرة الفرد على احتمال ومقاومته للمرض .

ولأن هذه العوامل كثيرة ومتنحية فعلى ذلك يكون احتمال ظهورها فى الذكور كبيرا كما أوضحنا وهذا يصدق على كل الحيوانات الثديية كما هو صادق فى حالة الانسان .ومن الامثلة التى حقق فيها فالتغذية الناقصة للفئران تسبب وفاة الأجنة وتجعل نسبة المواليد فى أناثها أكثر منها فى ذكوره لان نسبة كبيرة من الاجنة الذكور تموت قبل أن تولد .

وفى الانسان أمكن استخلاص الحقائق الآتية :

	عدد الذكور	عدد الاناث
فى الحمل	١٣٠	١٠٠
عند الولادة	١٠٣ ـ ١٠٧	١٠٠
بين سن الخامسة والثامنة	١٠٠	١٠٠

وعند البلوغ يصبح عدد الاناث أكبر من عدد الذكور فى كل الامم مهما تباينت طبائعها

ومما يشاهد أيضا أن عدد مرات الاسقاط والاجهاض تزيد عند الام كلما زادت مرات الحمل وكلما تقدمت الام فى السن

أى أن الاجنة التى تموت فى بطون الامهات العجائز أكبر منه فى بطون الصغيرات . وأكثر الوفيات الزائدة تكون بين أجنة الذكور .

وكل المشروعات التى يقصد بها تقليل وفيات الاطفال فى السنوات الاولى من حياتهم تقدمت تقدما كبيراً ، ومع ذلك فان معدل الوفيات يصعب تقليله أدنى من حد معين ، ويظهر أنه ليس فى الامكان انقاصه عن حد أدنى معين — وربما كان هذا بسبب وجود عوامل وراثية أخرى فى كروموزومات خلايا الجسم الاخرى غير خلاياه الجنسية . فاذا كان ذلك هو الواقع أفليس انقاص الافراد الذين يحملون هذه العوامل نافعا فى اختفائها ؟ اذا كان الامر كذلك فان المحافظة على حياة من يحملون عوامل الضعف هذه هو بمثابة أثقال كاهل المجتمع بعوامل غير مرغوب فيها

ن . ش

بيوتا عمرت ـ وفى الخلاء تموت

قصة «للكاتب اليهودى ابراهيم دايزن»

حنت الايام ظهر عازر عامل البناء وسلبته قواه . ولذا تراه ملازماً مسكنه لا يبرحه الا للصلاة نظرا لصعوبة المشي عليه . وعدا ذلك الى أين تراه يذهب ؟ ومن يقصد ؟ ولماذا؟ فقد تفرق أولاده يجوبون البلاد طلبا للرزق فتركوه وحيدا ، وتوفيت زوجته منذ ثلاث سنوات. حين لم يزل يزاول مهنته وكده . ولم يعجز عازر عن عمله الا بعد أن أفلت القدوم من قبضته

رأى العمال المتمتعون بقوة الشباب وصحته ذلك . فقالوا :

ـ لقد آن أوانك ياعم عازر، لأن تستريح .

فكان كما قالوا ، وها قد مضت سنتان على عجزه ولكن الراحة ما زالت بعيدة عنه. نعم انه لا يهتم بشئون معيشته ، اذ ما هو قوام معيشته؟ انه قليل من البطاطة وقطعة من السمك والسلام

ولكن هناك أمر يقلق راحته على الدوام الا وهو اضطراره الى دفع شلنين ايجار مسكنه الى سليمان الشيخ.فاذا حان موعد الدفع أنهك عازر ذاكرته مفتشا عن بعض الملاك الذين ابتنى لهم دورا ؛ وبقيت لديهم بقايا من أجرته . فكان بعضهم ينكر والبعض الآخر يقر ولكنه يقسم اليمين الغليظة بعدم تمكنه من تسديد الدين، وآخرون لاينكرون ولا يعترفون، بل [illegible]رفونه ببعض الشلنات...على انه كلما مرت به الايام ، صعب عليه الحصول على ذينك الشلنين أجرة المسكن . وها قد تراكم عليه دين بدل شهرين ، وهل الشهر الثالث، دون أن يتراءى له أى مصدر للدراهم .على انه لو كان سليمان الشيخ صاحبا للدار ، لتريث وانتظر . ولكنه هو مستأجر أيضا، وعليه أن يدفع ايجار الدار، ولذلك فهو لا يستطيع الاصطبار، حتى ان عازر نفسه لا يطاوعه قلبه على تركه ينتظر مثل هذه المدة وسليمان خياط مسن ، أعور ، ورزقه طفيف جدا

ولذلك كله صار عازر يطيل المكوث فى المعبد بعد صلاة المغرب ، حيث يتناول أحد المصاحف فيقرأ فيه الى أن تدق الساعة عشرا فيوقن أن سليمانا قد نام ، فينهض من مجلسه قاصدا مسكنه خلسة

أما سليمان الشيخ فقد أومأ اليه بأنه عزم على تأجير المسكن الى مستأجر آخر ، ان هو لم يدفع له الايجار فى أقرب وقت ممكن ...

تجول عازر فى شوارع البلدة مغموماً وعيناه تحملقان فى الارض . على انه قد يرفعهما من حين الى آخر الى الدور التى كان يمر بها . . ان هذه الدور عزيزة فى نظره ، لانها تعود به الى عهد مضى كان يقف فيه على الحيطان يعمل فى بنائها بجد ونشاط . . ها هى دار يعقوب الوكيل ، فقد استغرق بناؤها عشرة أسابيع ، ودفع صاحبها أجوراً لا بأس بها — خمسة شلنات يومياً . وكان أحياناً يسقى العمال كأساً من العرق فى آخر النهار .

وها هى دار الوجيه .. احسن بها من دار ! لاتزال جديدة . لقد بنيتها منذ عشرين سنة ، وتقاضيت أجراً لا يستهان به ، ثلاثة شلنات يومياً . .

دخل عازر المعبد يائساً حزيناً . فصلى صلاة العصر ثم المغرب ثم دقت الساعة سبعاً ، وثمانياً ، وتسعاً ، وعشراً . . لاشك ان سلمان الشيخ قد نام . على ان نفس عازر لا تميل الى الذهاب الى مسكنه . بقى جالساً امام المصحف المفتوح والهواجس تنتابه متضاربة فى دماغه : ماذا عساه يفعل ؟ . . وفى النهاية لاحت له فكرة عجيبة بأسرع من لمح البصر ، فاستبشر بها : انه يمكث من الآن وصاعدا فى المعبد ! دون أن يعود الى سلمان الشيخ قط . . ها قد ارتفع حمل أجرة المسكن عن عاتقه ! على ان الدين لايزال يثقل كاهله . من الواجب المتحتم عليه ان يسدد هذا الدين .. فكيف يفعل ذلك؟ كيف؟

اخذ عازر يتنهد تنهداً عميقاً . .

دقت ساعة المعبد اثنتى عشرة وعازر لايزال جالساً يغالب النعاس . فيرى فى منامه سلمان المسن جالساً الى جانبه يخيط ، وبعد كل غرزة يشك الابرة فى عينيه «عينى عازر» . .

عفواً ياسيدى — صاح مساعد الشماس — هذا مكانى ، دعنى أنام فى مضجعى !

فرك عازر عينيه . فكرر مساعد الشماس صياحه بصوت جاف : ان المعبد ليس وقفاً للجميع ، وان قيم المعبد قد أمرنى بألا ادع أحداً ينام فيه . — كلا أبداً . .

ولما عاد عازر الى سلمان الشيخ لم يكن ليلتفت الى الدور التى انشأها ، كان الليل بهيما ، وعازر يجر رجليه جراً . لأن التخبط فى الظلماء كان أهون عليه من العودة الى سلمان .

فماذا تكون عاقبته ياترى ؟ . .

— آه ! — تنهد عازر بمرارة — بيوتا عمرت وفى الخلاء تموت ! ؟

أدب عالى

الادب بين اليـــــــوم والغد

نحو ادب جديد

الغاية من الحياة فى رأيى ليست السعادة ولا التمتع ولا بقـاء النوع كما يرى الكثيرون بل هو التطور والارتقاء. فنحن لم نخلق على هذه الارض عبثا بل خلقنا لنرتقى حتى نصل إلى درجة تؤهلنا إلى إكتشاف أسرار الوجود وخفاياه والكشف عن السبــل المثلى للانتفاع بهذه الخفايا لنزداد بهذا الانتفاع رقياً

وناموس التطور الذى سرى على الوجود وجزئياته منذ الأبد ما زال ساريا وسيظل عاملا نشطا لا يبالى بالعقبات ولا بالجمود. وهذا النـاموس الذى ارتقى بالانسان من الأحيـاء الاولى إلى انسان الغاية ثم الى ما نحن عليه اليوم سيرفعنا غدا إلى أنصاف آلهـة وسيتم ارتقاءنا بالطبع تقدم عظيم فى كل ثمرات الحياة من علوم ومبادىء وفنون وآداب حتى تصبح نسبـة حياتنا الحاضرة الى المستقبلة أعظم من النسبة بين ناقة أسلافنا وجراف زبلن ! .

ولما كان الأدب يستمد من الحياة عناصره فانه سيرتقى بارتقائها وستعمل فيه يد التطور وسيأتى يوم يصبح فيه أدبنا الحاضر طفلا يلهو بالألاعيب. ولالوم فى ذلك على أدباء هذا الجيل ولا على أدباء الأجيال السالفة لانهم انما يستمـدون من حياة مضطربة ولاننا ما زلنا نعيش فى عصر انتقالى ملىء بالتجارب والتزاحم تتضارب فيه الآراء وترتطم مختلف النظم والمبادىء. . هو العاصفة التى تسبق الاستقرار والفوضى التى تتقدم النظام .. ومع كل هذا الاضطراب الذى يكتنفنا من كل صوب فان التطور يسير بنا الى الأمام كقطار يجتاز المفاوز والوهاد ولا يتوقف !

وأدبنـا اليوم، فى كل الارض، مشوب بالتعصب والتحيز. التعصب الجنسى والقومى والدينى واللغوى ، فثمة ربوات المؤلفات والمطبـوعات ، من كتب وقصص ودواوين وصحف ، يتغنى فيها كتابها بمرأى السماء وغزو الجار وسحق الأعزل ،كل يشيـد بأمجاد آبائه وقدامة لغته وأفضلية دينه

وحرمة وطنه وعظمة جنسه،الوطن فوق العالم وبنوه فوق الانسانية كلها ..والايطالى مثلا يتحدى العالم ويحلم بعودة الامبراطورية الرومانية ، والنازى ينادى باستئصال شأفة اليهود حثالة البشر ويشرد اينشتين ،ويقول بتنقية الدم الالمانى الآرى من شوائب العناصر الاخرى ،ويسحق فرنسا وغزو روسيا ومحاربة جائزة نوبل لانها ترمى الى السلام ،والروسى يكتب اليوم لنشر الشيوعية،والانجليزى يتغنى بأمجاد الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ، والياباني يقدس السيف والمدفع لا للدفاع عن النفس بل لاخضاع الجار الآمن ، والشرق يحن إلى عهود بغداد وينادى بقداسة لغة الضاد ..

إلا أن النظر الى المستقبل على ضوء التطور يرينا أن هذه المطبوعات التى تغمر العالم اليوم كالطوفان والتى أوغرت الصدور وجعلت من الارض معسكراً مدججا بالسلاح ،إن هى إلا زبد سيذهب جفاء ،أما الناحية الخالدة فهى ذلك الادب الحى الذى يضيع وسط هذه الفوضى ويتعت بالهوس وأضغاث أحلام ،أدب رومان رولان وولز وتاجور وأمثالهم ..

ذلك لأن أدب المستقبل ،ولو كان اليوم بعيداً عن التحقيق ،سيكون أدب الانسانية قبل أن يكون أدبا قوميا ،سيكون أدبا عالميا ينبثق من النفس البشرية ويغوص فى أعماقها ويصور مثلها العليا كما يمثل آلامها وآمالها . ويتحدث عن الانسان اينما كان وحيثما وجد . حتى التاريخ سيكتب على طريقة أخرى تماثل ما فعله ولز فى كتابه تاريخ العالم معتبراً إياه وطنا عاما للانسانية كلها ..هذا الأدب ستخف فيه وطأة التعصب والتحيز وسيعطف على جهود الأمم المختلفة وسيعمل على التعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب . . وسينعم اكثر مما ينعم به أدبنا الحاضر بالانطلاق والحرية والتجديد لأن الدكتاتوريات التى تتصرف اليوم بمصاير الامم وكذا قلق الساسة وتخوف الحكام تقيد الآن أكثر الأقلام ويرغمها على مجاراة أهواء السياسة

وأدبنا اليوم مصاب بالثرثرة ،والمطابع كغيرها من المصانع تدور آلاتها بالكهرباء وتقذف الى الاسواق فى كل دقيقة بكميات هائلة من الكتب والصحف ، وهذا العرض الذى زاد على الطلب أتخم المكاتب بالبضاعة المكدسة البائرة ، ودفع الناشرين والمؤلفين الى تلمس سبل الرواج فعملوا على ارضاء عامة القراء بالهبوط الى مستواهم لا لافادتهم بل لارضاء غرائزهم واشباع ميولهم واثارة حاستهم الجنسية ..

وناموس الارتقاء الذى يهذب الغرائز ويتسامى بها يقول أيضا ببقاء الأصلح ولابد أن يأتى

ذلك اليوم المنشود الذى يميز فيه الانسان فى تطوره بين الغث والسمين ، فلا يقبل على الأدب السخيف ولا يتهافت على القشور ، بل يتبع المقاييس الجديدة للادب الجديد . . وكذلك لن تلق الثرثرة رواجا كما تلق اليوم ، لا لأن الفراغ سيكون قليلا وسط حياة كثيرة التراكيب ، بل بالعكس سيتسع الفراغ أمام الانسان كلما ازداد رقيا وانتفاعا بالآلات والمكتشفات ، وهذا الفراغ الذى طالما ساعد على تقدم الفنون والادب سيتمتع به الانسان فى تثقيف نفسه وجسده ، وسيعرف كيف يتمتع به ويفيد منه ، إلا أن هذا الفراغ الفسيح المقبل سيكون مليئاً أيضا بما يشغله بفضل التقدم العلمى ، فهذا التليفزيون مثلا سيخلق فى كل بيت مسرحا صغيرا وقاعة للمحاضرات ، وهناك غير هذا مما يسد ذلك الوقت الرخيص الذى يقتله الملايين من معاصرينا فى قراءة القصص البوليسيه والمغامرات الجنسيه وصحف القيل والقال ، والذى كان يقتله أسلافنا فى الهجاء والمدح والتشطير والتخميس واذا كان قانون بقاء الاصلح سيزيل الفاسد وسيقضى على الكثير من الأسماء التى دوت يوما فى عالم الأدب

ثم أن التقدم فى العلوم وتوالى المكتشفات وظهور النظريات العلمية الجديدة سيؤثر ولا شك فى أدب المستقبل كما أثرت نظريات فرويد وبرجسون وداروين وغيرهم فى أدبنا الحديث . فتقدم علم النفس المطرد سينير الطريق أمام التحليلات النفسانية التى يلجأ إليها القصاص والشاعر ، وتقدم علوم الاجتماع سيفيد الكاتب الاجتماعى ، وسيكون هناك تعاون ظاهر بين العلم والأدب وبين العقل والعاطفة وسيزداد تطعيم الادب بالمبادىء العلمية الصحيحة .

أما الشعر فلن تدول دولته كما يزعم البعض ممن يتشاءمون من طغيان المادة ، لان المادة لم تطغ حتى اليوم على المشاعر والعواطف ولن تستطيع التأثير عليها ما دامت العاطفة تمثل شطراً هاماً فى نفس كل بشرى ولكن ارتقاء الشعور تبعا لرقى الحياة العامة وكذلك ارتقاء مقاييس الادب سيتبعه ارتقاء فى الشعر فيعتمد يومئذ على الشعور الصادق والالهام الذاتى أكثر مما يعتمد على التقليد والنقل وسيتحرر من قيود الرجعية التى تنشأ فى حظيرة الجهل وقصر النظر ، وسيكون فى مقدوره الغوص فى أعماق النفس واكتشاف خفاياها ، وتصوير الحقائق بصدق واخلاص ..

إن التنبؤ عن مستقبل الأدب لايخرج عن دائرة الحدس لكنه موضوع جديد جدير بالدراسة المستفيضة والتأمل العميق اذ مما لاشك فيه أن الأدب سيتطور وسيرتقى تبعا لتطور الحياة كلها ومن أراد لأدبه الخلود فلينظر الى الامام لا الى الوراء .

ن . ى .

شبلى شميل وفرح انطون

عنيت المجلة الجديدة بابراز فضل رجلين من اخواننا اللبنانيين هما شبلى شميل وفرح انطون . وقد مات الأول منذ عشرين سنة والثانى منذ خمس عشرة سنة . وقد أردنا أن ننبه عن آثارهما فى النهضة المصرية وهى آثار لا تحسب قيمتها بالكم بل بالكيف . فان كلا منهما كان بمثابة الخميرة التى تفشى بالعدوى وتنمو فيما حولها . وقد تأثر كاتب هذه الكلمات بهما . ولذلك يمكنه أن يتعرف الى أثر كل منهما فى النهضة الحديثة كما يذكر هذا الأثر فى نفسه وأقرانه

وقبل الكلام عن فرح انطون وشبلى شميل يجب أن ننوه بالنهضتين الكبيرتين فى أوربا . فان الثقافة الاوربية التى كانت منذ النهضة الاولى قد اجتاحت ايطاليا ثم امتدت منها نحو الشمال وهى تتفشى وتنمو وتتكشف شأن الجسم الحى ـ هذه الثقافة كانت قد تبلورت فى فرنسا فى أواسط القرن الثامن عشر . ففى هذا القرن نجد المفكرين الفرنسيين يحسون احساسا جديدا بالايمان بالبشرية ويقررون حقوق الناس . وقد انتهت هذه الحركة الى الثورة الفرنسية . وقد كانت فرنسا فى ذلك القرن تهيىء لاوربا والعالم وثبة جديدة الى الامام نحو النور والنظام والحرية والمساواة

وكان لابد لمصر فى نهضتها أن تتعرف الى أولئك الرجال الذين زانوا التاريخ الفرنسى فى القرن الثامن عشر . وكان فرح انطون كبير العناية بنقل آثار هذا العصر الى مصر . فان مجلته الجامعة وسائر مؤلفاته تعج بأفكار فولتير وروسو ورجال الثورة الفرنسية . وقد فتح لنا ابوابا للتفكير الحر بعرض هؤلاء العظماء علينا . وقد نشأنا كما نشأ العالم العربى كله على جمود الصناعة فى الادب . فجاءنا فرح انطون بمؤلفات برناردان سان بيير ودعوته الى الطبيعة والسذاجة . فاستروحنا منه نسيما جديدا . وقد فشت روح رومانتيه مبتكرة تستلهم الخيال فى الادب المصرى بتأثير ما نقله فرح انطون . ولكنها كانت ضعيفة تحتاج الى ما يسندها فلم تجد هذا السند وخاصة ازاء الجمود اللغوى والاسلوبى والادبى الذى يجتهد خريجو الازهر ودار العلوم فى تعميمه فى المدارس والصحافة والتأليف

واذا كان الادب المصرى قد كسب شيئا من المرونة فى اوائل هذا القرن الحاضر فانه يعزى الى حد كبير الى مجلة الجامعة التى كان يصدرها فرح انطون والى مؤلفاته الاخرى

وكما ان هؤلاء المفكرين الفرنسيين قد أحدثوا نهضة عامة لفرنسا ، وأحدثوا حركة ذهنية ثورية لا تزال أوربا تعانى عواقبها كذلك كان يجب أن يحدثوا مثل هذه الحركة عندنا لو اكملنا العمل الذى بدأه فرح انطون . ولكننا للأسف لم نكمله بل ان فرح نفسه لم يداوم عليه لانه رأى أن بناء الرجعية القائم فى مصر أضخم من أن يستطيع مجهود فرد أن يهدمه . فكف عن هذا المجهود وترك مجلة الجامعة وترك التأليف الذى يراد منه ايجاد عدة ذهنية تلائم التجديد . ولا تزال النهضة الفرنسية فى القرن الثامن عشر فى حاجة الى من ينقلها الى القراء المصريين لكى تنقذهم من الجمود الشرقى . الذى ابتلوا به

أما شبلى شميل فانه التفت الى نظرية التطور وهى ثورة انجلترا بل أوربا الذهنية فى القرن التاسع عشر . وقد سبق أن وصفنا هذه النظرية بأنها محورية أى أنها مركز وسط تدور حولها طائفة من الافكار والآراء بل أحيانا من العقائد التى تتغلغل فى صميم الثقافة العصرية . فان هذه النظرية تزودنا بأسباب الرقى البشرى كما توشك أن تهيىء لنا عقيدة بشرية جديدة . والعقائد عامة تقاس بحقائقها الماضية ولكن نظرية التطور تقاس أيضا بقيمتها فى المستقبل . وكان شبلى شميل ينظر اليها نظر الفيلسوف وليس نظر العالم

وقد كانت مصر فى حاجة الى ما يرج تقاليدها الشرقية المتداعية وقد رجتها هذه النظرية الرجة التى تستحقها . واظننى قد تأثرت فى شبابى بالمقتطف ويعقوب صروف اكثر مما تأثرت بشبلى شميل . فان لغة المقتطف بالاسلوب الاقتصادى الذى اتبعته منذ نشأتها كانت اكثر اقناعا واستهواء الى من لغة شبلى شميل الذى كان يعنى بالعبارة المونقة والاسلوب المزخرف والانغماس فى الجدل بدلا من الشرح . ولكن هذه الصفات نفسها كانت تجد الجمهور المستعد لاستمرائها . كما كان لشبلى شميل قدرة على الاشتباك فى المحاورات الصحفية واسباغ النظر العقلى عليها . فكان أثره من هذه الناحية عظيما

ولكن كان هناك فرق أصيل بين فرح انطون وبين شبلى شميل . فان الاول كان يعطف على

الحركة الوطنية المصرية بل هو قد اندمج فيها وتكلم بلسانها وأعرب عن وحيها . وقد حررت أنامله في جريدة اللواء للدفاع عن مبادىء الحزب الوطني وانتهى به المطاف الى الصحف الوفدية حين شغلته الحركة السياسية عن الحركة الثقافية

أما شبلي شميل فلم يعطف قط على الحركة الوطنية المصرية . وكان بعقله انسانا عالميا يقول بالاخاء البشري ولكنه كان بعاطفته لبنانيا مسيحيا يكره غير المسيحيين



من الأدب الإيطالي

لحظة حرجة

تأليف القصصي الإيطالي الشهير « جيوفاني بوكاتشيو »
معربة عن الإنجليزية

تزوج منذ أمد بعيد جداً رجل فقير من أهالي نابلي من سيدة إيطالية حسناء تدعى برونلا . وكانت صناعته بناء . أما هي ، فقد اعتادت منــــذ حداثة سنها أن تقضي وقت فراغها في غزل الصوف ونسجه ثم تبيعه لجيرانها أو لأقربائها . وبهذه الطريقة استطاعا أن يعيشا عيشة رضية هانئة .

وكان يقطن بجوارهما شاب جميل يدعى جيانلو . وحدث أن وقع بصره على برونلا ذات مرة وهي مطلة من شرفة منزلها فأحبها حباً جماً وأصبح لا يطيق البعد عنها أو يكبح جماح نفسه عن مشاهدتها .

وبدأ منذ ذلك اليوم يغازلها ويطيل النظر اليها ويكثر المرور من أمام منزلها . وبعد محاولات كثيرة فاشلة استطاع أن يلفت نظرها إليه ، وأن يؤثر عليها ويوقعها في شرك حبه وأسر غرامه

ولما كان الزوج يخرج من بيته كل يوم الى عمله مبكراً ولا يعود إليه إلا في المساء ، فقد اتفق جيانلو وبرونلا على أن ينتظر الأول زوج محبوبته حتى يغادر منزله وحينئذ يلج باب المنزل الذي تتركه برونلا مفتوحاً لهذا الغرض ، ثم يذهب لقاء معشوقته التي كانت تنتظر قدومه بفارغ صبر .

وبهذه الطريقة استطاعا أن يقضيا مع بعضهما وقتاً جميلاً طيباً دون أن يدري الزوج من أمرهما شيئاً ، أو يعلم أحد بسر هذه العلاقة الخفية التي كانت بينهما . .

واستمر الحال على ذلك إلى أن حدث ذات مرة أن عاد الزوج إلى بيته مبكراً على غير عادته وفي صحبته واحد من معارفه . وكان جيانلو لا يزال يلهو في ذلك الوقت مع محبوبته برونلا .

ولحسن حظها كان باب المنزل مرتجاً من الداخل ، فاطمأنت نفس الزوج لذلك وسر سروراً لامزيد عليه ثم خاطب صاحبه فقال :

ـــ إنني أحمد الله ياصاحبي لانه وهبني ـ بالرغم من عوزى وفاقتى ـ زوجة وفية مخلصة ؛ إذ لا أكاد أخرج لعملى فى الصباح المبكر حتى أراها تغلق باب المنزل ورائى ثم ترتجه من الداخل لئلا يدخله أحد من بعدى !!

قال الزوج ذلك ثم طرق الباب باحدى يديه طرقة خفيفة فعرفته زوجته لأول وهلة وادهشت من أوبته التى جاءت فى غير موعدها . وظلت برهة لاتستطيع أن تنبس ببنت شفة أو تأتى بأية حركة . وأخيراً قالت لحبيبها بعد أن استردت هدوءها وتمالكت نفسها بعض الشيء :

ـــ واأسفاه ياحبيبى جيانلو !! إننى لامحالة هالكة لان زوجى قد عاد الآن من عمله مبكراً على غير عادته ، ولست أدرى السر فى ذلك إلا أن يكون قد شاهدك فى أثناء دخولك المنزل

ثم تلفتت حوالبها فى خوف زائد وفزع شديد وكأنما قد سمرت قدماها فى الأرض من هول هذا الموقف وحروجته . وكان عرق الخوف البارد يتصبب بغزارة من جبينها ، وجسمها يهتز بشدة كريشة فى مهب الريح . ولم يكن جيانلو ليقل خوفاً عنها ولكنه كان أكثر هدوءاً وأعظم ثباتاً منها .

ومالبثت بروتلا أن لمحت بالقرب منها صندوقاً خشبياً كبيراً ؛ وكان هذا الصندوق قد علاه القذر من كل جانب مما يدل على أنه لم يستعمل منذ مدة طويلة . فلما أبصرته سرت لرؤيته سروراً عظيماً ثم فكرت برهة والتفتت نحو حبيبها والبشر يعلو وجهها وقالت :

ـــ أدخل فى هذا الصندوق ياعزيزى جيانلو وأغلقه عليك جيداً ولا تحاول أن تخرج منه قبل أن آمرك بذلك وسأذهب الآن لأفتح الباب لزوجى ، وسنعرف بعد لحظة سبب عودته الفجائية ..

فأطاع جيانلو أمرها وقفز الى داخل الصندوق برشاقة وخفة ثم أغلقته عليه ؛ بينما ذهبت بروتلا للقاء زوجها الذى كان قد ناله فى تلك الأثناء بعض الملل والاعياء من غيابها . فلما وقع بصرها عليه وعلى زميله الذى اصطحبه معه حيتهما بجفاء ، وقادتهما الى الغرفة الموجود فيها حبيبها جيانلو ثم قالت لزوجها وشرر الغضب يتطاير من عينيها ، والحنق يلوح فى ملامح وجهها :

ـــ لماذا عدت الى المنزل مبكراً على غير عادتك ؟ هل حسبت أن ما عندنا من المال يكفى لأن تقضى وقتك معى بلا عمل تعمله أو مهنة تزاولها ؟ أم ظننت أنني سأحتمل بقاءك فى المنزل فأعطيك ثيابى لترهنها أو أثاث منزلنا فتبيعه ؟؟ إنك تعلم أننى لا أعمل شيئا سوى غزل الصوف ونسجه ، أقضى فى ذلك وقتاً طويلا حتى تكل يداى من شدة التعب ، ويضعف بصرى من هذا العمل المضنى الشاق . .

ثم تنهدت بحرارة وشهقت بالبكاء وقالت بصوت خافت مخنقة العبرات :

ـــ وأنا لا أفعل ذلك حباً فى العمل ذاته ، وإنما لأوفر لك سبل الراحة والرفاهية ، ولأخفف عنك بعض العبء الذى تكاد تنوء عن حمله بمفردك . وبالرغم من أن جيراننا يعيروننى دائما على هذا العناء الذى أكابده من أجل مساعدتك ، والتعب الذى الاقيه من جراء تيسير سبيل العيش لك فأنى مازلت مخلصة لك : أمينة على عهدك ! ولكنك بدلا من أن تكافأنى على هذا الاخلاص والوفاء بما يماثله ، فانى أراك تعود الى الآن مبكراً ويداك فى جيوبك سترتك فى الوقت الذى كان يجب أن تكون فيه فى عملك !

وبعد أن استراحت برهة عاودت حديثها وفى صوتها رنة من الحزن المرير والألم المكظوم :

ـــ ما أتعس حظى وأعظم شقائى ! لقد كان اليوم الذى تزوجتك فيه من أسوأ أيام حياتى وأكثرها عذاباً وشقاء لى ! وانى أتذكر الآن أن أهلى كانوا يريدون أن يزفونى الى شاب صغير لاشك أنه كان سيسعدنى ويسبغ على من حبه وحنانه ما ينسينى هذا الجحيم الذى ألقاه فى بيتك ! ولكنى رفضته لأنه كان عاطلا فى ذلك الوقت . بل انى أعلم ـ ولعلك أنت أيضاً تعلم ـ أن هنالك نسوة متزوجات يقضين مع من يحبهن من الرجال أوقاتاً سعيدة طيبة فى غيبة أزواجهن. ومنهن من تحب أكثر من واحد ، ومع ذلك لايدرى أزواجهن من أمرهن شيئاً لأنهن يظهرهن أمامهم بمظهر الزوجات المخلصات والمحبات الوفيات ! ولكنى امرأة تقية فاضلة لم أعتد مثل ما تأتيه بنات جنسى فقد جعلنى الله من أبأس النساء وأتعسهن حظا بأن وهبنى زوجاً كسولا مثلك بل لقد قدم لى عدد كبير من الشبان كثيراً من الثياب الجميلة ، والهدايا الفاخرة ، واللآلىء الثمينة القيمة ولكنى لم أغتر لكل هذا ورفضت هداياهم وابتعدت عنهم جهد طاقتى لأنى أعلم أن هذا

يتنافى مع ما جبلت عليه من عفة النفس وشرف المحتد ! والآن تكافئنى أيها الزوج العزيز على إخلاصى لك وحبى إياك بأن تعود الى منزلك مبكراً على غير عادتك !

ولما أتمت بروتلا حديثها خاطبها الزوج بقوله :

ــ لاتقلق نفسك ياعزيزتى بروتلا . فأنا أبعد نظراً وأثقب فكراً منك ، ولست كسولا أو خاملا كما تتوهمين . .

ثم سكت قليلا وعاود حديثه فقال :

ــ نعم انى توجهت الى عملى هذا الصباح ، ولكن لم يتذكر أحد منا ان اليوم عيد القديس جاليون ، وهو عيد مقدس يحتفل به سائر الايطاليين كما تعلمين . ولهذا السبب قد فضلت أن أقضى بقية هذا اليوم بجوارك فى المنزل . وعلاوة على ذلك فقد استطعت أن أبيع هذا الصندوق ـ ثم أشار بيده الى الصندوق الذى كان جيانللو لايزال موجوداً فيه ـ الى هذا الرجل الذى ترينه معى الآن بخمسة شلنات . .

وكان الزوج يعتقد أن بروتلا ستسر لدى سماعها هذا الخبر لأنها كثيراً ما ألحت عليه ببيع هذا الصندوق بأى ثمن ، ولكنها أظهرت فى تلك اللحظة عدم اكتراثها وهزت رأسها الجميل علامة على رفضها وقالت :

ـ إن هذا لأسوأ مما أظن . لأننى ، وأنا المرأة الفقيرة الجاهلة التى لاتخرج من بيتها إلا للضرورة القصوى ، ولاتدرك من أمور الحياة مثلما تدرك ، قد استطعت أن أبيعه بستة شلنات الى رجل وديع طيب القلب . وقد دخل هذا الرجل فى الصندوق قبل دخولك المنزل بوقت قصير ليختبره من الداخل ، وهو لايزال موجودا فيه الى الآن !

فلما سمع الزوج ذلك سر سروراً عظيما وأعجب بمهارة زوجته ثم التفت الى الرجل الذى أتى به معه لشراء الصندوق وقال :

ـ لا تؤاخذنى أيها الصديق لأن زوجتى قد باعت هذا الصندوق لرجل غيرك بستة شلنات كما سمعت ، فى حين أنك لم تشأ أن تدفع أكثر من خمسة ، وهو مبلغ بخس كما أظن !

فلما سمع الرجل ذلك ظهرت عليه علائم الأسف والتردد ثم قال :

ـ لابأس ياعزيزى . فأنت حر فى أن تبيعه بالثمن الذى يحلو لك ويرضى زوجتك ، ولكنى لا أستطيع أن أبتاعه بأكثر من خمسة شلنات ..

قال الرجل ذلك ثم توجه الى الباب بعد أن حيا برونلا وزوجها تحية رقيقة مقتضبة .

فلما انصرف التفتت برونلا الى زوجها وقالت :

ـ بما أن الرجل الذى جئت به لشراء الصندوق قد انصرف الآن فلا مانع عندى من أن تتفق مع من قلت لك أنه جاء لشرائه منذ لحظة . .

وبديهى أن جيانلو كان قد سمع كل مادار بين الثلاثة من حديث لأنه خرج فى تلك الآونة من الصندوق وقال كمن لايدرى من الامر شيئاً :

ـ أين أنت ياسيدتى ؟

وكانت برونلا قد دخلت فى تلك اللحظة الغرفة المجاورة ، ولهذا رد عليه الزوج بقوله :

ـ أنا هو زوجها ياسيدى . من أنت وماذا تريد ؟

فقال جيانلو وهو يدور ببصره فى أنحاء الغرفة :

ـ انى أريد السيدة التى باعتنى هذا الصندوق . .

فرد عليه الزوج بلطف قائلا :

ـ انى هنا بالنيابة عنها ياسيدى ويمكنك أن تعقد الصفقة معى . .

وهنا دخلت برونلا الغرفة وقالت لجيانلو وهى تبتسم ابتسامة ذات معنى :

ـ هل أعجبك هذا الصندوق ياسيدى ؟

فقال لها جيانلو دون أن يرفع بصره اليها لئلا يشك الزوج فى أمرهما :

ـ نعم لقد أعجبنى . ولكن يلوح لى أنك لم تستعمليه منذ مدة طويلة ياسيدتى لأن القذر يملوه من كل جانب ولاسيما من الداخل . ولن أشتريه بالطبع إلا اذا كان نظيفاً . .

فضحكت برونلا ضحكة رقيقة عذبة وقالت .

ـ ان هذا لايغير شيئاً من وجه الاتفاق الذى بيننا . .

وهنا التفتت الى زوجها وقالت :

ـ أرجو ياعزيزى أن تنظف هذا الصندوق للسيد ولو أن فى هذا العمل تعبا وإرهاقا لك . .

فأطاع الزوج أمرها مكرهاً وذهب الى غرفة مجاورة وأحضر منها الأدوات اللازمة لهذا الغرض ثم دخل فى الصندوق بعد أن أوقد شمعة ليستطيع أن يرى على ضوئها الأجزاء التى تحتاج الى تنظيف . وكان جيانلو وبرونلا فى تلك الأثناء يتبادلان النظرات ويبتسمان لبعضهما من وقت لآخر دون أن يلحظ الزوج شيئاً من ذلك . .

ولما انتهى الزوج من تنظيف الصندوق خرج منه وقد كانت بداه من شدة التعب ، وكان العرق يتصبب بغزارة من جبينه ومن سائر أعضاء جسمه مما يدل على أنه قد عانى فى تنظيفه تعباً وارهاقاً شديدين . .

وتناولت برونلا الشمعة من يد زوجها ثم ناولتها لحبيبها جيانلو وقالت له وهى تبتسم ابتسامة رقيقة هادئة :

ـ خذ هذه الشمعة ياسيدى لترى الصندوق من الداخل بعد أن نظفه زوجى . .

فتناول جيانلو الشمعة من يدها شاكراً وقابل ابتسامتها بمثلها ثم اتجه نحو الصندوق ودقق فيه النظر برهة وقال :

ـ انه لابأس به الآن ياسيدتى . وانى أشكر زوجك على هذا العناء الذى كابده فى سبيل تنظيفه واظهاره فى هذا المظهر الجميل الرائع . .

وحقيقة لقد كان الصندوق نظيفاً للغاية حتى ان الناظر إليه يخال له أنه جديد لأول وهلة . .

ولما سمع الزوج هذا الاطراء الموجه اليه من جيانلو ابتسم ابتسامة الغبطة والسرور ثم قال :

ـ لاشكر على واجب ياسيدى . اذ الفضل فى ذلك يعود الى زوجتى وليس على إلا أن أرضيها بأى ثمن . .

ولكى يبالغ الزوج فى اكرام جيانلو والحفاوة به ، عرض عليه أن يحمل له الصندوق ويوصله به الى منزله . فمانع جيانلو فى بادئ الأمر ولكنه يرضخ فى النهاية تحت إلحاح الزوج من جهة ، وتأثير برونلا عليه من جهة أخرى .

وهنا أخرج جيانلو من جيبه ستة شلنات ونفح بها الزوج فتناولها هذا ممتناً شاكراً ثم دسها

بسرعة فى جيب سترته . .

وقبل أن يغادر جيانلو المنزل قدم يده لبرونلا مصافحا وضغط عليها بلطف وقال :

ـ انى أشكرك ياسيدتى على تلك الحفاوة التى أبديتها نحوى وذلك اللطف الذى لم أجد له مثيلا فى سيدة من قبل . .

قال ذلك ثم ضمها اليه بشدة وطبع على فمها الجميل قبلة حارة دون أن يراه الزوج لأنه كان مشغولا اذ ذاك بحمل الصندوق كما أمرته زوجته !

محمد عبد اللطيف حسن



مشتركو القاهرة وضواحيها

اعتمدت المجلة الجديدة الاستاذ زكى ميخائيل وكيلا عاما ومحصلا لاشتراكاتها بالقاهرة وضواحيها بايصالات موقعه باسم صاحب المجلة وباسمه فنرجو المشتركين الا يعطوا الاشتراكات لأى شخص سواه وتسهيل مهمته

تلحين التثاؤب وتنغيم التنهد

المتأمل فى أغانينا يراها فى معظمها تأوهات مرددة وتنهدات مرجعة ان لم تكن تثاؤبا ممدوداً ممطوطاً وتوجعاً منغما ، كأن المغنى مريض يتوجع أو يتأوه أو كأنه قد غلبه النعاس فهو يتثاءب فى تكاسل أو هو يمزج كل ذلك فيتثاءب ويتوجع ويتنهد ويتأوه ويجرى فيها جميعا تلحينا وتنغيما وترجيعا

وقد ملأ الراديوفون جونا بهذا التثاؤب وهذا التنهد . وأعجب ما فى الأمر أن أبرع مغنينا أو الذين شهد لهم بالبراعة هم أكثرهم تنهدا وتثاؤبا . ولذلك تكرر محطة الاذاعة أغانيهم . ولما كان للتلحين تأثير استهوائى فى النفس فاننا كأننا نتثاءب ونتأوه ونتنهد . لأن اللحن يضرب فى نفوسنا أوتارا تستجيب له على طريقته وتتسق مع أنغامه . ونحن عندما نسمع هذا الغناء المكرر تنتقل عدواه الينا فننظر الى الدنيا نظرة التثاؤب والتأوه وتنتظم أعصابنا ويصطبغ مزاجنا بهما ونبقى فى هذه الحال التعسة طول يومنا يستولى علينا غم مبهم يذهب عنا مرح الحياة ونشاطها

والغناء اما أن يكون منبها واما أن يكون مخدرا . والغناء الأوربى على وجه العموم مثل الرقص الأوربى كله نشاط ومرح . فهو ينبه كأنه كأس من الخمر القوية . أما الغناء المصرى فمخدر كأنه يشبه الحشيش الذى ينوم الحشاش ويظلم ذهنه . وليس شىء فى الدنيا يعبر عن روح الأمة مثل موسيقاها وغنائها ورقصها . وذلك لان كل هذه الفنون تتجاوز حدود التعبير المحدود وتتسب الى العقل الباطن أكثر مما تتعرف الى الوجدان . فهى عفو السجية الوطنية والطبيعة القومية . فان أعظم صفات الاوربيين نشاطهم وتفاؤلهم وشجاعتهم ومرحهم . اذ هم يبعدون عما يفهم من معنى الوقار يلعب شيوخهم وهم فى سن السبعين أو الثمانين وتركب عجائزهم الطائرات . ولذلك فان رقصهم حركات مرحة قوية وغناؤهم وموسيقاهم كلاهما قوى يبعث على اليقظة والانتباه

ولكننا نحن فى مصر قد ورثنا ميراثا سيئا من حكم الأجانب الذين أذلوا آباءنا ولم ننهض إلا من عهد قريب . ولكن شعور آبائنا بظلمة الحياة ومظالم الحاكمين كان مندسا فى نفوسهم قد انطبع

فيها مغلة وهوانا وتوجسا من الدنيا . فأورثونا غناء وموسيقا تعبر عن شعورهم ونشـأنا نحن على اعتيادها . مع انها من المخدرات النفسية التى يجب أن نقاومها كما نقاوم الكوكئين والهيروئين

لقد أورثنا آباؤنا أيضا رقصا «بلديا» انتهينا الى احتقاره فالغيناه لاننا وجدنا أنه لا يأتلف مع مانفهم من معنى الحب ومقام المرأة . ولم يكن آباؤنا يفهمون وكذلك أورثونا هذا الغناء القائم على التثاؤب والتأوه والتنهد . وهو كان يعبر ذلك فى حياتهم . ولكنه بعيد أو يجب أن يكون بعيدا عما نفهم من النشاط والمرح

وجهازنا العصبى الذهنى مطبوع على التأثر باللحن سواء أكان لحن الحركة الذى يتمثل الرقص أم لحن الصوت أى الغناء . فنحن نرقص مع الراقص ونغنى مع المغنى من حيث لاندرى : ثم تنتقل عاطفته الينا فتنبهنا بمرح الحياة أو تخدرنا بالتثاؤب والتنهد . ونبق على هذه الحال العصبية أياما فاما أن تنشط الى العمل وتأخذ بالشجاعة ونقبل على الدنيا متفائلين واما أن نتكاسل ونتثاءب ونتباكى ونيأس وهذا هو مايحدث لنا فى مصر من هؤلاء المغنين الذين لا يعبرون عن روحنا النشطة أى عن مصر المستقلة وعن الشباب الناهضين بل يعبرون عن مصر كما كانت قبل مائة أو مائتى سنة حين كان الاتراك يذلون آباءنا ويعممون الظلام فى أنحاء البلاد . فغناؤنا الحاضر هو غناء هؤلاء الاباءغناء التعزية فى مآتم المناحة غناء الشكوى وحياة الكسل التى لاترى فائدة فى النشاط والمرح بل ترى الأمن والراحة فى الدعة والسكوت

فنحن فى حاجة الى موسيقا والى غناء والى رقص تبعث فينا جميعها النشاط والتحفز والمرح . وقد أصبح غناؤنا وموسيقانا أكبر ضررا مما كانا . لأن محطة الاذاعة قد شحنت الجو بالموجات التأوهية والتثاؤبية التى تخدر الجمهور وتبعثنا على النعاس والتواكل والتشاؤم

ولذلك نعتقد أن سلامة النفس تقتضى الغاء هذا الغناء وهـذه الموسيقا كما اقتضت من قبل الغاء الرقص .

اتجاه جديد فى كتابة التاريخ

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

امامى الآن كتابان جديدان فى التاريخ لعالمين انجليزيين كبيرين .. ظهرا منذ بضع سنوات وليسا بالكتابين الفريدين فى بابهما .. هما من ثمار ذلك الانقلاب العام وذلك التطور الفكرى الذى أعقب الحرب العالمية .. وهما يدلان على اتجاه جديد فى وضع المؤلفات التاريخية ينقض ما ألفناه حتى الآن فى مكاتبنا ، ويخالف ما درسناه فى معاهدنا من كتب تاريخية باتت عتيقة الاسلوب والنمط والروح ..

ويبدو لى أن وراء هذين الكتابين تستتر معان كثيرة يوضحها اليوم نفر من الكتاب النبلاء السابقين عصرهم والصارخين فى واد ، كما أن وراءهما احدى الظواهر التجديدية التى تبشر بنمط دائم سيتجلى فى المستقبل على أيدى كتاب آخرين متحررين ممن سيضعون لجميع فروع الأدب مقاييس انسانية جديدة ..

فقد كانت ولم تزل كتب التاريخ التى تملأ مكاتبنا ومدارسنا تتبع ذلك النمط الذى سار عليه مؤلفو العصور السحيقة . وكان المؤرخ اللاحق يتبع السابق فى طريقة السرد والوصف ، يستمد من المراجع المكدسة ويقتبس وينقل ، ويكاد لا يغير إلا فى الالفاظ والتراكيب وفى التحيز لهذا الملك أو مهاجمة ذلك الحاكم ..

وكانت اكثر كتب التاريخ ولم تزل فهارس لاسماء الملوك والسلاطين والقواد والغزاة تسهب فى ذكر أنسابهم وذويهم وبنيهم وبناتهم ، وحياة جواريهم ومحظياتهم ، وتصف ما يقع فى القصور من غراميات ودسائس وجرائم ، وما يحدث فى البلاط من حفلات وولائم .. كأنما لا يوجد فى تلك الدول غير تلك القصور وغير اولئك الحكام ، أما الشعب فكمية مهملة لا يأتى ذكره إلا عرضا كأنه

لم يعش على هذه الأرض ولم يسعد ويتألم ، وكأنه كان موجودا ليقيم فوق أجساده تمثالا لذلك الحاكم أو ذلك القائد وكأنما كانت كل دولة وحدة جغرافية أحاطتها الطبيعة بسياج لا تنفذ منه حوادث العصر ولا مؤثرات الجار القريب ، وكأنما فنيت شخصية هذه الوحدة فى شخصية حاكمها فأمسى تاريخ حياتها هو حياة ذلك السلطان المتصرف فى مقاديرها حتى لو كانت حياته سلسلة من الفضائح والجرائم ..

فاذا خرج المؤرخ من أبواب القصور فليشيد بالفتوحات والغزوات والهزائم والانتصارات وليأتى لنا بعدد الأسرى والقتلى والجرحى ، ومقدار الغنائم والأسلاب والسبايا ويقف بنا طويلا ليرينا حصار المدن واكتساحها ودخول الغزاة على الخيول المطهمة ويسمعنا صليل السيوف وجلبة القتال وأنات المحتضرين . واذا بالقائد المنتصر أو السلطان الفاتح بطل من أبطال ذلك التاريخ الملوث بالدم تحفه القداسة وتتناقل سيرته الأجيال وتؤلف عنه القصص والملاحم وتلقن جرائمه فى معاهد العلم ..

هؤلاء المؤرخون الذين كانوا وما برحوا يطلون التاريخ مجموعة من الغزوات والمواقع الحربية ويتغنون بأمجاد الحروب ويضعون أكاليل الغار على رؤوس المعتدين وهؤلاء الذين يتقلون لنا عنهم فى كل يوم على صفحات المجلات انما يرضون فى أنفسهم وفى نفوس الكثيرين من قرائهم تلك الغرائز القديمة التى لم يستطع التطور ولم تستطع المدنية أن تزيلها من مخابئها الموروثة

فكثيرون ما زالوا يتلذذون بأنباء السفك والفتوحات وتتملكهم نشوة وحشية حين يقرأون فى تلك المؤلفات أنباء الانتصار على العدو وسحق الجار وتخريب بلاد الأعزل ، وعندنا هنا فى الشرق كثيرون من نابشى القبور القديمة لا يحلو لهم غير اخراج الجثث وبعث تلك الصفحات الدموية الملوثة ، يلذ لهم أن يعيدوا على أسماعنا التى ملت سماعها ، وعندنا من لم يزل يترنم بأسماء نابليون وتيمورلنك وقيز وقواد الحروب الصليبية . وعندنا من لم يزل يستعير ألفاظ عنترة والمتنبي وابن كلثوم حين يتغزلون بشق الجماجم بينا هم يكتبون فى التاريخ ! وقد يظن أن هؤلاء يقصدون الى اثارة الحمية وتبجيل الجندية والدفاع عن الأوطان ولكن الحقيقة إنهم كما يبدون فى أساليبهم واختيارهم للموضوعات لا يقصدون الى غير الطرب والتلذذ بأوصاف المصادمات والغزوات وغير عبادة الأبطال

لا أبطال العلم والاصلاح والفنون بل أبطال التخريب والاعتداء ..

ويعد فأول هذين الكتابين اللذين أوحيا بهذا الكلام هو « مجمل تاريخ العالم » الذى وضعه هـ . ج . ولز وجعل فيه الارض وطنا واحدا للانسانية له تاريخ واحد قد تظهر حوادثه هنا وهناك لكنها متصلة الحلقات ولذا فهو لم يقسم العالم الى مئات الوحدات السياسية لكل وحدة منها تاريخ قائم بذاته كما يفعل جل المؤرخين ..

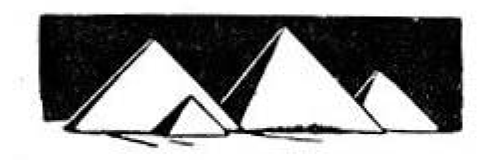
وقد قسم ولز كتابه الى نحو سبعين فصلا بدأها بالارض وهى فى طور السديم وانتهى بها الى عصرنا الحاضر ، ولايتسع المقام هنا لتلخيص هذا الكتاب ولكن الاشارة الى بعض عنوانات الفصول تعطينا فكرة عامة عن هذه المحاولة الجديدة فى وضع تاريخ واحد للعالم — فأول هذه الفصول يبحث فى نشوء العالم وتطوره فى حيز المكان حتى أخذت الارض شكلها المستدير الذى نعرفه ثم عن الزمان وعمر الارض ثم عن ظهور الحياة وتطورها فى العصور القديمة حتى اذا كان الفصل التاسع ظهر الانسان الحقيق على الارض ليبدأ فى تمثيل دوره ، وهنا تتوالى الفصول عن الفكر البدائى وعن بدء الزراعة وبوادر المدنية الاولى وتطورها واختراع الكتابة ، وعن القبائل الرحل وأهل البحار وتقدم الحضارة بمصر وبابل وآشور — فالآريين الاوائل فتاريخ اليهود فعظمة الاغريق وامبراطورية الاسكندر ، ففصل عن متحف الاسكندرية ومكتبتها ، وآخر عن حياة بوذا والملك أزوكا وكونفوشيوس ولاؤتسى ، ثم عن الدولة الرومانية وأهل قرطاجنة ؛ وعن حياة الرجل العادى فى ظل الدولة الرومانية الاولى ، فأثر تعاليم المسيح وظهور المسيحية ، فالدولة البيزنطية فدولتى سو وتانج بالصين ، فظهور محمد والاسلام ، فاتساع الدولة العربية ، فسيطرة البابوية فغزوات المغول ، فالنهضة الاوربية ، فعصر التجارب السياسية وظهور البرلمانات والجمهوريات الاوربية ، فاتساع الممتلكات الاوربية فى آسيا وغيرها ، فحرب الاستقلال بأميركا ، فالثورة الفرنسية ، فالثورة الصناعية ، فعصر تطور الافكار السياسية والاجتماعية الحديثة ، فاتساع الولايات المتحدة ، فعصر التسلح الاوربى والحارب العظمى ، فالانقلاب الجديد بروسيا فالعالم اليوم ونظامه السياسى والاجتماعى ..

أما الكتاب الثانى فهو «قوى العالم والجغرافيا» لجيمس فيرجريف أثبت فيه أن تاريخ العالم يخضع للعوامل والظواهر الطبيعية ويشير الى أن التاريخ لايعيد نفسه نظرا الى تقدم العالم وتطوره

وانه كل لا يتجزأ ، وان الحادثة الخاصة تؤدى الى حوادث أخرى فى العالم وان ما فعله رجل واحد أو قبيلة واحده أو أمة واحدة قد أثر فى أناس آخرين وفى شعوب أخرى ، وان للناس على الرغم من تفرقهم فى المكان والزمان خواص متماثلة تجعل الحوادث المتشابهة تتماثل فى أماكن مختلفة وأزمان متباعدة لكنها تخضع للتطور وتقدم العالم ، وان التاريخ فى أوسع معناه هو قصة القدرة البشرية المتزايدة على اخضاع الاشياء ، ومحاولة الاستمتاع بها وان جميع المخترعات والمكتشفات ذات أثر عظيم فى مجرى التاريخ ..

وفى هذا الكتاب محاولة شيقة للدلالة على أثر الصحراء فى تاريخ مصر والمستنقعات فى تاريخ بابل والبحر فى تاريخ اليونان وقرطاجنة والواحات فى ظهور الاسلام والغابات فى تاريخ روسيا والانهار فى الصين والفحم فى تاريخ الولايات المتحدة .. والحق أن قراءة هذا الكتاب وسابقه تغير نظرتنا الحاضرة الى التاريخ .





الظواهر العصبية القهرية

بقلم الاستاذ محمد فتحى بك

إن المقصود بالظواهر العصبية القهرية هى الحالات النفسية التى يسود عقل المريض فيها فكرة خاصة أو عقيدة معينة يجد نفسه مسوقاً إلى التفكير فيها مرغماً دون أن يأنس من نفسه قدرة على كبح جماح هذا التفكير ، وقد تدفعه الفكرة المتسلطة الى التزامه مسلكا معيناً فى ناحية من نواحى الحياة يكون ذا طابع خاص محدد بأسلوب ثابت لاسبيل إلى التصرف أو التنوع فيه . فهى نوع من التفكير الجبرى أو الغير الارادى الذى يرجع مصدره إلى بعض المركبات النفسية المشتملة على نزعات أو مشتهيات جنسية مكظومة والتى انفصلت عن المجموعة الشعورية لما بينها وبين تلك المجموعة أو بعض مشتملاتها من تنافر فارتدت إلى جوف اللاشعور ثم التمست لها فى الحياة الشعورية مخرجا تتنفس منه الصعداء فتحولت إلى ظاهرة تفكير قهرى او فكرة متسلطة .

فالظواهر العصبية القهرية مثلها مثل الهستيريا التحويلية قائمة على نظرية الكبت المرضى للتأثرات الجنسية الخاصة بعهد الطفولة ، غير أن التأثرات أو الانفعالات الخاصة بالرغبات المكظومة بدلا من استحالتها إلى أعراض بدنية كما هى الحال فى الهستيريا التحويلية ، فانها تنفصل عن مركباتها وتتصل بأمور أو أفكار أخرى بريئة عليها أن تحمل طابع تلك الرغبات وتأثراتها .

فالهستيريا التحويلية قائمة على ظاهرة التحويل والهستيريا التسلطية قائمة على ظاهرة الاستبدال مثلها فى ذلك مثل الهستيريا القلقية ، غير أنها تختلف منها بكون الوجدانات المكظومة تتحول عادة إلى فكرة او عقيدة ثابتة متسلطة بدلا من تحويلها إلى مخاوف عصبية أو انفعالات وتأثرات نفسية . كما أن هناك فرقا آخر بين الظواهر العصبية القهرية ، وبين كل من الهستيريا التحويلية أو القلقية وهو أن النزعات المكبوتة فيها تكون من النوع الايجابى الاعتدائى : بمعنى أنه إذا حللت ذكريات المريض بالهستيريا التسلطية ، فانها قد تكشف عن سابقة قيامه فى

عهد الطفولة بدور المهاجم أو المعتدى . بينما النزعات المكبوتة فى النوعين الآخرين من الهستيريا « التحويلية والقلقية » تكون من النوع السلبي بحيث باستقصاء تاريخ حياة المريض قد يستدل على سابقة قيامه فى عهد الطفولة بدور المجنى عليه ، ولهذا كانت الهستيريا التسلطية أكثر شيوعاً بين الذكور والهستيريا التحويلية أكثر شيوعاً بين النساء .

أما فيما يختص بالأجراءات العقلية الباطنية التى بمقتضاها تتم عملية الاستبدال وتتكون الظواهر المرضية فى الهستيريا التسلطية ! فهى بعينها نفس الاجراءات التى مررنا ذكرها عند الكلام على الهستيريا القلقية . أعنى أن هذه الظواهر ، هى نتيجة النضال والصدام الواقع بين القوتين المتعارضتين من قوى النفس ، غير أنه بسبب ما اعترى القوة الرادعة — قوة الكبت — من وهن أو ضعف تتحول التأثرات أو الانفعالات الخاصة بالرغبات المكظومة إلى أعراض فكرية مرضية فى صورة عقائد أو أفكار أو سلوك أو حالات متسلطة ، وبذلك يتسنى تفادى ظهور تلك الرغبات فى الشعور بشكلها الصريح . فهى وسيلة من وسائل الدفاع ضد القوة المحتسبة لما يكنه المريض فى أعماق نفسه من نزعات أو مشتهيات يرى فى تحقيقها خطراً على نفسه أو بعبارة أصح خطراً على ذاته الشعورية « أنا »

أما طبيعة الهواجس المتسلطة التى تلازم المريض بهذا النوع من الامراض النفسية فانها متعددة الصور لا حصر لها : فقد تكون فكرة معينة تساور المريض فى كل وقت ولحظة ، او حالة تقوم بنفسه لأقل مناسبة بكيفية قد تقلق باله وتزعج خاطره . ومع يقينه بأنها عارض مرضى وفكرة وهمية لا تقوم على أساس من العقل أو المنطق ، فانه لا يجد من نفسه حولا ولا قوة على طردها من مخيلته فهى من هذه الناحية ، مثلها مثل الظاهرة البدنية التى استقلت عن ارادة المريض فى الهستيريا التحويلية وغلبته على أمره وأصبح لا سلطان له عليها . ومن رأى فرويد أن الهستيريا التسلطية تنطوى بلا استثناء على وجدانات لوم وتأنيب ذاتى صحبت ممارسة جنسية فى عهد الطفولة تعذر كبتها كبتاً موفقا فالتمست لها مخرجا فى الحياة باستحالتها إلى أعراض تفكير قهرى بصورة نمطية أو فكرة ثابتة متسلطة فقد تبرز هذه الظاهرة فى صورة نزعة مرضية إلى حب الاستطلاع حيث تغلب على المرء فكرة الاستفهام عن كل أمر يقع تحت سمعه أو بصره أو بمجرد خطوره بباله ، فلا يجد من نفسه قدرة على كبح شهوة الاستطلاع حتى تجاه أتفه الامور وأسخفها سواء أكان مادياً أو معنويا . وقد يكون ذلك فى صورة استفهام موجه الى الغير أو منقلباً نحو النفس فتسود حياة المريض حالة قلق وعدم اطمئنان لعدم

اقتناعه بالجواب . وقد تتخذ هذه الظاهرة صورة تشكك أو تردد دائم ، وهو ما يعبر عنه أحياناً بهوس الشك ، فمثل هؤلاء المرضى تسود عقولهم ظاهرة التشكك أو التردد في كل أمر أو شأن من شؤون الحياة ، فلا تطمئن أنفسهم أو تستقر آراؤهم على رأى حتى في أتفه الأمور وتلقاء أبسط المواقف . فيشاهد المريض حائراً في اختيار الموضع الذى يضع فيه كتاباً داخل المكتبة أو المكان الذى يضع فيه كوباً أو آنية على المائدة أو في اختيار البدلة التى يفضل ارتداءها قبل خروجه لزيارة أو نزهة ، أو يحار فكره تجاه المكان الذى يمضى فيه ساعة فراغه ، أو قد يحار في تكوين رأيه بأى القدمين يبدأ لبس جوربه أو حذاءه ، أو بأى قدم يخطو عتبة الدار . كما أن هنالك اناساً يساورهم الشك عند وضع الخطابات في مظاريفها فيمضون الى فتحها مراراً للتثبت من عدم وقوع خطأ عند تغليفها باستبدال بعض الخطابات مكان البعض ولعل هذه الظاهرة ، وهى كثيرة الشيوع لدى هؤلاء المرضى حتى بين الاصحاء ولو بصورة مخففة ، تدل دلالة ضمنية على ظاهرة الاستبدال التى انفصلت بموجبها التأثرات الخاصة بالرغبات الجنسية المكظومة عن مركباتها ، ثم اتصلت بغيرها من شؤون الحياة العادية . بمعنى أن فكرة الاستبدال المادى المتسلطة في الظاهر تعبر تعبيراً رمزياً عن ظاهرة الاستبدال المعنوى القائمة في الباطن »وقد تتخذ الفكرة المتسلطة صورة مخاوف قد يلبس أمرها ويتعذر تمييزها لأول وهلة عن المخاوف الهستيرية التى مر بنا ذكرها في الهستيرية القلقية «ولعل هذا مما حدا ببعض رجال فن العلاج النفسى الى اعتبار المخاوف إطلاقاً ضمن الظواهر العصبية القهرية دون تمييز بين النوع القلق منها والنوع التسلطى »غير أنه عند التأمل وامعان النظر نرى أن هنالك فروقاً جوهرية بين كلا النوعين تتلخص في الاوجه الآتية :

أولا - ان المخاوف الهستيرية «الفوبيا» تتخذ صورة رعب تجاه شيء معين بالذات أو موقف محدود يثير من النفس عوامل الخوف دون سواه لسابقه ارتباط الذهن بموقف مماثل بروابط التداعى في ممارسة ماضيه فهى عبارة عن اضطراب نفسى نوعى بخلاف المخاوف التسلطية فانها عرضة للتطور والتنقل ، فقد تساور النفس فكرة خوف من ناحية معينة أو موقف معين ، ثم يختفى هذا العارض الى حين على أن يظهر في المستقبل في صورة أخرى : بمعنى أن المريض قد تتسلط على نفسه انفعالات الخوف من أن يلقى بطفله الصغير من النافذة كلما اقترب منها ،

ثم تختفي هـذه الظاهرة حيناً من الزمن على أن تحـل محلها ظاهرة خوف من ناحية الأسلحـة والسكاكين الماضية التي تقع عليها يد المريض خشية أن يذبح واحداً من أولاده أو أهله ، أو قد تحل محلها ظاهرة خوف من أن يلقي بنفسه تحت عجلات القطار إذا مااقترب منه حال مروره فتراه يتراجع القهرى بضع خطوات لكي يكون في مأمن من شر نفسه على نفسه .

ثانيا — إن المخاوف التسلطية قـد تدفع نفسها إلى المخيلة دون أن يكون لها في الحياة الخارجية محرك ظاهر أو مايدعو إلى إيقاظها ، فهي أقرب إلى التفكير التلقائي منها إلى التأثرات السلبية التي توقظها في النفس المنبهات الخارجية عن طريق التداعي كما هي الحال في الهستيريا القلقية . فالمريض بالمخاوف التسلطية قد تساور نفسه فكرة الخوف من الانتحار أو فـكرة الاعتداء على الغير أينما ذهب وأينما جلس ، دون أن يكون لايقاظ هذه الفكرة في نفسه أية علاقة صريحة بالمؤثرات الخارجية أو ما يجعل تنبيهها متوقفاً على عامل معين في الخارج . فهي ظاهرة نفسية متعدية ، بخلاف المخاوف التي من نوع الهستيريا القلقية فانها ظاهرة نفسية لازمة أو قاصرة .

ثالثا — أنه في المخاوف التسلطية إذا حللت ذكريات المريض المكبوتة فانها تكشف عن ممارسة جنسية إعتدائية ، بخلاف المخاوف العصبية في الهستيريا القلقية فانها تنطوي على ممارسة جنسية قام فيها المريض بدور المعتدى عليه .

رابعا — إن المخاوف التسلطية تدور غالباً حول خوف المريض من نفسه أو من نزعة باطنية ذات خطر ، بينما في المخاوف الهستيرية يكون مصدراً لخوف عامل من عوامل البيئة الخارجية ، ومؤثر خارجي يثير خوف المريض . وقد تبرز الأفكار المتسلطة في صورة أعمال أو تصرفات يقوم المريض بها كلما تهيأت ظروف خاصة فلا يجد في نفسه قدرة على كبح جماحها أو العدول عنها ، ولكن ليس هذا معناه أن الوجدانات المكبوتة تحولت إلى ظواهر بدنية ، وإنما التحول الحاصل لايزال في مستوى العقليات ، وإنما مايقوم به المريض أو يأتيه من الافعال ماهو إلا نتيجة طبيعية لتلك الافكار والأوهام المتسلطة : فمثلا من ضمن حالات هوس الشك التي مر ذكرها حالة تسود فيها عقلية المريض ظاهرة التشكك من ناحية إحكام إغلاق باب المنزل أو باب غرفة النوم ، فان قيام هذه الحالة بنفس المريض من شأنها أن تدفعه إلى اختبار قفل الباب مراراً وتكراراً ، كما أن هناك حالة أخرى يسودها التشكك

من عدوى المرض « وهـذه الحالة خليط بين الشك والخوف » ، فانها تدفع المرضى بهذه الفكرة إلى تطهير أيديهم أوملابسهم أو أمتعتهم إذا ما خطر ببالهم أنها تعرضت للعدوى بلمسها من جانب الغير، وقد تبرز هذه الفكرة المتسلطة في صورة خيالات بصرية أو هواجس سمعية تشبه الهذيانات التى تساور المرضى بمرض العقائد الوهميـة المعروف باسم « بارانويا» أو بالمرض المعروف باسم « عتـة المراهقة » ، ولكنها تختلف عنها من حيث كون المريض بالهستيريا التسلطية ماهو إلا مجرد أوهام أو خيالات لاظل لها من الحقيقة ، غير أن ذلك لايمنع ـ إذا ما استحفلت أعراض العلة ـ من أن تنتهى بالمريض إلى هذيانات حقيقية .

وليست الأفكار المتسلطة وقفاً على مرضى النفوس بل قد تشاهد أعراض هـذه الظاهرة فى الحياة الطبيعية لدى الكثيرين من الاصحاء انما بصورة مخففة ، فهناك من الناس من تغلب عليهم فكرة التردد فى تكوين آرائهم عند الاقدام على أمر من الأمور ، وربما كان رجال القضاء أكثر الناس تعرضاً لهذه الظاهرة من سواهم ، حيث يوجد من بينهم عدد غير قليل قـد تسود عقليته نزعة التشكك والحيرة عند تكوين رأى قانونى أو إصدار حكم من الاحكام ، ومثل هـذا القاضى يعرف فى الاوساط القضائية بالقاضى الموسوس أو المتردد . ويعزى سبب تردده إلى الافراط فى نزاهة الضمير ودقة الوجدان ، فى حين أنها وجدانات دفينة تستتر فى قرارة النفس فتعكس حرارتها على حياتنا الشعورية ، وتصبغ تفكيرنا ومظاهر سلوكنا بصبغة الشك والتردد الذى هو رمز الخوف من الوقوع فى الخطيئة والتورط فى المعصية المكظومة فى أعماق اللاشعور .

كما أن هناك من الناس من إذا غلبوا على أمرهم فى الحياة وتخطاهم الغير فى مضمار التنافس والكفاح وتعطشت أنفسهم إلى تذوق لذة النجاح ، كظموا شهوة الغلبة والتفوق على الغير فى ميدان العمل ، ثم أخذوا يلتمسون لها مخرجاً فى ميدان الوهم والخيال ، فمثل هؤلاء قـد تغلب عليهم فكرة المنافسة حال السير فى الطرقات فتدفعهم إلى مسابقة المارة أو إلى بلوغ نقطة معينة قبل أن يبلغها عابر سبيل أوقبل أن تصل اليها دابة أو مركبة .

وهناك من الناس من يجـد من نفسـه دافعاً يدفعه حال مروره فى طريق مرصوف بالبلاط ، أو كوبرى ملوح بالاخشاب إلى أن يطأ بقدمه البلاط أو الخشبة الثانية أو الثالثة . كما أن البعض قـد

يجد من نفسه مايدفعه إلى أن يقذف بقدمه كل قطعة حجر يقع عليها بصره فى الطريق ؛ أو يعقأ بقدمه كل صدفة أو ودعة يمر بها حال سيره على شاطىء البحر ، كما قد تغلب على بعض الناس نزعة عد كل مايصل إلى أيديهم أو يقع تحت أبصارهم من الأشياء . وما إلى ذلك من الظواهر التى ملئت بها حياتنا العملية والتى لاسبيل الى احصائها أو حصرها .

وكثيراً ماتكون الظاهرة المرضية للفكرة المتسلطة معقدة التركيب تشترك فى تكوينها مجموعة من العناصر أو المركبات النفسية المكظومة . كالمركب الوالدى «أوديب» ومركب الميل لذات الجنس ومركب العرض أو كشف العورة

وقد أورد الدكتور بوزفيلد فى كتابه مبادىء التحليل النفسى حالة مريض كان يعالجه من هوس الشك ، دلت اجراءات التحليل على أنه كان فى عهد طفولته مصاباً باعراض الامساك مما ألجأ والدته الى اعطائه حقناً شرجية من حين لآخر ، وكان مظهره الخارجى وشكل لباسه يدلان على نزعة قوية الى العرض وكشف البدن ، وقد اعترف بنزعة جنسية شديدة الى ذات الجنس كانت غالبة عليه فى سن المراهقة ؛ حيث لم يكن وقتئذ يشعر بأية عاطفة أو ميل للنساء ؛ ولكنه استطاع كظمها بعد ذلك الحين ؛ وقد أصيب أخيراً بالبواسير ؛ فكان لها شأن فى ايقاظ مركب الشبق الشرجى من نفسه ، وبالاخص عند فحصه بمعرفة الطبيب ؛ وهو مما دعاه الى التهرب من اجراء عملية جراحية ، وأن يفضل عليها المروخات والزيوت واستعمال الحقن التى كانت تعطيها له أمه وهو فى سن الرابعة — وقد دلت حالة الفتى على شدة تعلقه بذكريات الماضى وتركيز نشاطه الغريزى فى أمه تركيزاً قد ارتبط فى ذهنه بشهوته الشرجية . ويقول الدكتور بوزفيلد . لعل هذا هو السبب فى كبته نزعته الى ذات الجنس ، وفيما كان يبديه من الاحترام الزائد نحو السيدات احتراما يتمثل فى المبالغة فى الانحناء أمامهن ، كما كان يفعل تجاه أمه «ويلاحظ أن الانحناء هنا ليس مجرداً عن المغزى اذ له صلة بانحنائه القديم عند اعطائه الحقن» .

وقد تبرز الظواهر العصبية القهرية فى شكل نزعة متسلطة نحو الحريق وهو ما يطلق عليه اسم «بيرومانيا» أو جنون الحريق ، حيث يجد المريض من نفسه دافعاً قهريا يدفعه الى اللعب بالنار ، وقد تنتهى محاولاته إلى ارتكاب الحريق فعلا والحكم عليه . كما قد تتخذ صورة نزوع إلى السرقة فلايجد

من نفسه قدرة على كبح جماح شهوة نفسه نحو اختلاس متاع الغير ، وتسمى هذه الظاهرة « جنون السرقة » ، فكلتا الظاهرتين لا تخرجان عن كونهما مظاهر مرض الأفكار المتسلطة التي لا اختيار للمريض فيها ، ولا حول له ولا قوة على صد تيارها ، فهي مركبات نفسية انفصلت عن مركز الارادة واستقلت بقوة ذاتية جامحة لا يملك المريض لها قياداً أو زماماً . ولا فرق في المسئولية بين ما يقوم به المريض بالهستيريا التشنجية من تقلصات أو حركات تشنجية لا ارادية ، وبين ما يقوم به المريض بجنون الحريق ، أو جنون السرقة من محاولات إجرامية فاذا عرفنا حقيقة ما يخضع له مثل هؤلاء المرضى من عوامل نفسية قاهرة وما لها على نفوسهم السقيمة من قوة بأس وسلطان ، كان الطبيب أولى بهم من القاضي ، وكانت اجراءات التحليل النفسي أجدر بشفائهم من انزال العقاب بهم وايداعهم غياهب السجون

« الأوهام الهستيرية »

إن هذا النوع من الهستيريا القائم على الأوهام المتسلطة يمكن اتخاذه كمقدمة لمرض العقائد الوهمية المتصلة المعروفة باسم البارانويا الحقيقية

وهذا النوع من الهستيريا يشبه بقية أنواع الهستيريا التي تقدم ذكرها من حيث منشأ العلة وتكوين الاعراض ، فانها قائمة على نظرية الكبت المرضي لما يحمله المريض في جعبة العقل الباطن من أفكار ومؤثرات يجدها فوق حد الطاقة والاحتمال ، فتتحول الى أعراض مرضية في صورة معتقدات وهمية متسلطة . غير أنها تمتاز عن جميع الامراض المتقدمة بتوافر الظاهرة المعروفة بالانعكاس وهي ظاهرة من مقتضاها أن يلقي المريض ما يجده في نفسه من نزعات أو رغبات مكظومة على سواه . فالمريض بهذا النوع من الهستيريا لا يرى في نفسه عيباً ، كما انه قد لا يشعر من نفسه بوطأة الأوهام المتسلطة على عقله أو بأي عرض جثماني . فكل ما يحس أو يشعر به عيوب وهمية يراها في الغير . وبعبارة أخرى ان الأفكار المتسلطة في هذه الحالة تكون منعكسة على مرآة الغير ، فعوضاً عن أن يحس المريض بها من نفسه « كما في هستيريا الافكار المتسلطة » فانه يحس بها في سواه ويعتقد أنها من بضاعة الغير . وكثيراً ما يشكو هؤلاء المرضى من مرئيات وهمية أو هواجس

سمعية ، كما قد يحصل فى الهستيريا التسلطية . ولكن المريض بالأوهام الهستيرية يعتقد عادة فى صدق ما يرى أو يسمع فهى بالنسبة له حقائق لا أوهام . كما أن الاوهام فى هذا النوع من الهستيريا يغلب فيها السمعيات أكثر من المرئيات ، وان أظهر الاعراض وضوحاً فى الاوهام الهستيرية هى أوهام المريض وهواجسه المتعلقة بغيره من الناس ، فقد تسلط عليه فكرة اضطهاده من جانب الغير . أو تسود حياته العقلية هذيانات عشقية ، أو نزعة شديدة الى الغيرة و الحقد والحسد . أو الى الخيلاء والعظمة وفرط الاعتداد بالذات، فاذا ما استفحلت هذه الاعراض، فانها قد تنقلب الى « بارانويا » حقيقية ، فيصبح المريض فريسة نزعات اجرامية موجهة نحو الشخصيات التى لها شأن يذكر فى مخيلته ، فيضمر لها فى نفسه حفيظة قد تؤدى الى ارتكاب القتل.

ويقول رجال التحليل النفسى ان معظم حالات هستيريا العقيدة الوهمية « ان لم يكن جميعها » ينطوى على نزعة جنسية شديدة من الميل الى ذات الجنس وان المريض قد يجهلها من نفسه كل الجهل

وقد حاول ستودارت من رجال التحليل النفسى أن يصور الاجراءات الباطنية لظاهرة الانعكاس فى هذا النوع من الهستيريا على اختلاف مظاهرها ، فوضع لها الصور الآتية:

ان المريض بالبرانويا تبدأ لديه الاجراءات الباطنية « مفترضا أنه رجل » بأن تقوم أولا بنفسه الصيغة الآتية :

« أنا أحب الرجل » وظاهر أنها نزعة ميل الى ذات الجنس .

فهذه الصيغة تتحول الى واحد من الفروض الآتية طبقاً لنوع البرانويا أو النزعة التى تغلب عليها

أولا — فى البرانويا الاضطهادية

« أنا أحب الرجل » وهو أول خاطر يرد على البال ، ولكن نظرا لأنه فوق حد الاحتمال ، فانه ينقلب فى الذهن الى الضد ، أعنى « أنا لا أحب الرجل أى أنا أكرهه » غير أن هذه الصيغة لا تلبث عن طريق ظاهرة الانعكاس أن تنقلب الى الصيغة الاتية « هو يكرهنى ، اذن أنا مضطهد من جانبه » ومن ثم تنشأ العقيدة الاضطهادية الوهمية .

ثانياً — فى برانويا الخيلاء « أنا أحب الرجل » غير أنه نظرا لكون العقل لا يهضمها ، فانها تنقلب الى الصيغة الاتية « أنا لا أحب الرجل ، أنا أحب نفسى » ولكنها لا تلبث عن طريق ظاهر

الانعكاس أن تنقلب الى ما يأتى « كل انسان يحبنى ، اذن أنا رجل عظيم »

ثالثا — فى برانويا التدين «أنا أحب الرجل» أو بعبارة أخرى «أنا أحبه» «وهو مالا يطاق» ولهذا يتحور معناه الى «أنا أحبه (هو) » والضمير هنا عائد على الخالق أعنى «أنا أحب الله» وهذه العبارة عن طريق الانعكاس تنقلب الى « أن الله يحبنى» وبناء على هذا «ان الله اصطفانى»

رابعا — وفى البرانويا العشقية «أنا أحبه» تنقلب الى « أنا لا أحبه بل أحبها » وهذه عن طريق الانعكاس تنقلب الى «هى تحبنى أو تعشقنى»

خامساً — وفى برانويا الغيرة «أنا أحبه» ثم الى «هى لاتحبنى ، بل تحبه»

سادساً — وفى برانويا المرض يبدأ الاجراء العقلى كما فى برانويا الخيلاء « أنا أحبه » ثم تتحول الى «أنا لا أحبه ـ أنا أحب نفسى ـ يجب العناية بنفسى»

ومما تقدم يرى أن الاوهام الهستيرية على تعدد صورها وأشكالها قائمة على ظاهرة الانعكاس وان هذه الظاهرة تعد من أقوى مميزات هذه العلة عن سواها من مجموعة الأمراض العصبية النفسية التى مر بنا ذكرها ، كما تمتاز بها عن المرض المعروف بعتة المراهقة الذى تسوده ظاهرة تسمى ظاهرة الاندماج ، والتى من مقتضاها ان يدمج المريض كل ما يحيط به من الموجودات فى نفسه ، ثم يقطع صلته بعالم الحقيقة ويسبح فى عالم من الاوهام والخيالات .

وقبل أن نختم الكلام على الامراض العصبية النفسية يجدر بنا الاشارة الى وسائل علاج هذه الأمراض ، وهذه الوسائل تتلخص اجمالا فى أمور ثلاثة تعد بحق الوسائل الرئيسية لعلاج الامراض النفسية بصفة عامة وهى التحليل النفسى والايحاء والتنويم .

أما من حيث التحليل النفسى فان رجال العلم مجمعون على أنه أنجع وسيلة لمعالجة الامراض العصبية النفسية على الاطلاق ، والعلامة فرويد «وهو رب التحليل كما يقولون» يرى أنه العلاج الوحيد الناجع فى شفاء هذه المجموعة من الامراض ، لايفضله أى علاج آخر ، اذ من شأنه أن يستأصل شأفة العلة من منبتها وجذورها ، وهو أشبه شىء بعملية فتح البطن لشخص مصاب بخراج باطنى أو بعلة أو مرض عضال فى الداخل ، ولا يعتبر العلاج بالتنويم المغناطيسى أو بالايحاء الا كمجرد وسيلة وقتية لتسكين الاعراض تسكينا سطحيا دون تناول أصل العلة من أساسها ، مثل المخدر الذى يسكن آلام

الداء الدفين ولكن الى حين . غير أن هناك من جهابذة العلم وأبطال التحليل من خالفوا ذلك الاستاذ العظيم الرأى ، وقالوا بامكان شفاء طائفة من الامراض النفسية عن طريق التنويم شفاء ناجعاً وبصفة خاصة الهستيريا التحويلية . مستندين فى ذلك الى ما أيدته تجاريبهم واختباراتهم الشخصية. وانى بهذه المناسبة أذكر انى وفقت مرة الى شفاء مريضة بنوبات هستيرية تشنجية ثقيلة الاعراض عن طريق التنويم فى بعض جلسات لم تزد عن ثلاث أو أربع «ولعل هذا من قبيل المصادفات» وكان ذلك فى عام ١٩٢٥ ولحسن الحظ لم تعاودها الاعراض حتى الآن .





ذكريات

بقلم الدكتور أمير بقطر

كانت المحاضرات التى كان يلقيها الفيلسوف الاميركى الذائع الصيت جون ديوى منذ بضعة أعوام فى جامعة كولومبيا بنيويورك تمتاز عن سواها بعدة أشياء ، أهمها أعمار الطلبة الذين كانوا يستمعون اليها وتعدد جنسياتهم اذ كان معظم هؤلاء من النساء والرجال الذين تخطوا العقد الثالث وكان منهم من بلغ الكبر عتيا ، وعلى الأخص النساء فقد أخذ بعضهن بعنق الخمسين

وفى هذا المحيط المتجانس كنت أشاهد فتاة شقراء الشعر ، ممشوقة القوام ، مليحة الوجه ، واسعة العيون ، تناهز الثانية والعشرين من عمرها ، لم تكسبها الفلسفة شيئا من نظرات الاختبار وعبوسة الملامح ، وسيماء الوقار والتفكير العميق ، ولم تكسبها شيئا من تجمد الوجه ، وتقطب الحاجبين وانما كنت تراها على النقيض من ذلك يتلألأ البشر فوق جبينها ، وتحار الابتسامة فى ثغرها . وكان الناظر اليها لا يفكر فى جمالها وخفة ظلها واعتدال عودها بقدر ما يشفق عليها ، وقد زجت نفسها فى مكان لا يليق بها ، ودفنت محاسنها فى أحضان الفلسفة القاسية ، بآرائها المتضاربة الصاخبة ومساجلاتها المتطاحنة العنيفة ، وعبوسة الكثيرين من طلبتها . وكان لسان حال زملائها وزميلاتها أو اكثرهم يقول : كان الاحرى أيتها الغادة الحسناء أن تتخذى «هوليود» مقرا لك ، والشاشة الفضية بغيتك ، أو كان الاخلق بك أن تقترنى بفتى من الوارثين أصحاب الملايين . فيضع ماله وقصوره وحاشيته وخدمه تحت تصرفك ويكون كل مايملك رهين اشارتك .

وكانت الفتاة على فرط جمالها لا تخالط شابا او تعاشر أحدا أو يزاحم على التحدث اليها مزاحم ، أو يتزلف اليها من الشبان متزلف . فكأن عنصرا من عناصر الشخصية فيها كان أدعى لاحترامها وتقديس صفاتها والخشوع أمام جمالها ، من تلمس معاشرتها ، والتزاحم عليها والتزلف إليها .

مضت الايام تأخذ بتلابيب الأيام ، وكرت الشهور تعاقبها الشهور ، وأنا لا أعلم عن أمر

هذه الفتاة ، سوى أنها من فرائس الفلسفة ، حتى دعى بضع مئات من طلبة الجامعة الى رحلة بحرية فى يخت لأحد سراة الأميركيين . وقد ظللنا نواصل السفر والنزهة من الثامنة صباحاً حتى منتصف الليل ، والسفينة تمخر عباب الماء حول جزيرة منهاتن . وشاءت المقادير أن تجلس الفتاة بجانبي مصادفة ، فدار الحديث على محور المناقشات التى كان يثيرها جون ديوى ، وكانت ذيول الحديث تصل بعضها ببعض على سطح اليخت وعلى حافة الجانب الذى كانت تتدلى منه أرجل الجالسين الى قرب سطح الماء ، وفى غرفة المائدة ، وقاعة الموسيقا .

وكان بعض الحديث يتناقله عدد من الجالسين بالقرب منا ، فلا تكاد تمضى دقائق معدودات حتى يتناوله أكثر ركاب الباخرة ، وكان البعض الآخر لتفاهته وقفاً علينا . لا يكاد الحوار فيه يتعدانا . وكان كل منا يعزز آراءه بسلسلة من الخبرة الشخصية . ولعل عفوية الحديث وطلاوة الحوار وجمال المساجلة كانت تنحصر فى بعد الشقة ، واختلاف وجهة النظر ، بين اميركى ومصرى .
مر على هذا الحادث الذى ترك فى ذهنى أثراً [illegible] ثلاثة أشهر ، وأنا لم أحادث هذه الفتاة . ولم يخطر ببال أحدنا أن ينبس ببنت شفة أمام الآخر . [illegible] الأمر أنا كنا نتبادل التحية أسوة بسائر الطلبة ، كلما وقع نظر الواحد على الآخر مرة كل أسبوع او اسبوعين أو أكثر . وشاءت الاقدار مرة أخرى أن أدعى الى حفلة غداء بمناسبة عيد قومى . وكانت الدعوة صادرة من أحد سراة الاميركيين بوساطة النادى الامى فى نيويورك . وكان مكان الحفلة قصراً منيفاً لأحد أصحاب الملايين فى ضيعته الواسعة على بعد مئة ميل أو أكثر قليلا من العاصمة . هنا أيضاً شاءت الصدف الغريبة أن تجمعنا ، مع أن عدد المدعوين لم يكن يتجاوز أصابع اليدين ومع أن جميع المدعوين عداى كانوا من غير الطلبة .

مر على هذه الوليمة شهور لم أشاهد فى خلالها الفتاة سوى مرة واحدة حضرنا فيها أوبرا المتروبوليتان على موعد . وغادرت العالم الاميركى بعد حين وأنا لا أذكر من أمر الفتاة نبوغها فى فن التفكير أو قوتها فى التعبير ، أو قدرتها فى التأثير ، أو غير هذه من من الصفات الذهنية التى طغت على جمال أنوثتها فكسحته أمامها كسحاً ، وطعنت حسنها فى الصميم طعنة نجلاء ، فقتلته فى المهد صبياً . لم يعلق بذهنى شىء من هذا ، بيد أنى لم أنس ما بات أمره معلوماً لدى جميع أساتذتها وزملائها وزميلاتها من الطلاب ، وهو أنها كانت شغوفة بآراء ديوى وفلسفته قبل أن تقطع المرحلة الأولى من

التعليم الثانوى،وكانت تراسله فى تلك السن المبكرة ، ولا تزال طيلة الفترة الواقعة بين هذه المرحلة ونهاية السنة الرابعة من الكلية « الدراسة العاليــة » ، ولم تكد تمنح درجة بكالوريوس فى الآداب حتى أقبلت على الجامعة التى كان جون ديوى أحد أساتذتها ، فكانت منزلتها منه منزلة أفلاطون من سقراط

وبعد عودتى من أميركا بستة شهور وصلنى من بورتريكو خطاباً تبينت بعد فض غلافه أنه منها ولم يخطر ببالى أن يصلنى كتاب من هذا المكان النائى الذى لا أعرف فيه مخلوقا حتى علمت أنها قصدت الى هناك فى رحلة مع أهلها طلبا للراحة. ولم يكن هنالك من بد من تبادل الرسائل ، فكانت هى تصف لى أمـيركا الوسطى فى شرح وتفصيــل واسهاب ، وكنت أنا أصف لها مصر فى شرح وتفصيل واسهاب . وكان الواحــد منا يرتاح لما يقرأه للآخر لغة وأسلوباً وموضوعاً . وكانت الرسائل فى مجموعها جدية رسمية يكاد يكون أسلوبها علمياً جافاً بعيدا عن الشعر والجمال . وقلما كان الخيال يتسرب الى رسائلنا فيرسم عليها مسحة خفيفة من أثر العواطف ، قد يحسبها القارىء فى بادىء الامر خلواً خفية من الغرام ، ولكنه لا يكاد يتبينها حتى يقرأ بين سطورها رغبة صادقة ملحة فى تجنب كل ما يشتم منه ريح الصبابة أو عبير الهيام . وكان أحد أصدقائى المقربين يقرأ هذه الرسائل فيعجب بها ، وكان يلومنى اذا لم أعجل فى اسعافه بالكتاب بعد تصفحه، وآل على نفسه أن يحتفظ ببعض الكتب ، وكانت كلها تروقه ، وقد بلغ تحمسه الأقصى حينما حمل الى البريد يوماً صورتها شمسية طبق الأصل ، فانتزعها منى عنوة ولم يقع عليها نظرى الا دقائق معلومات . وكاد الحاحى عليه باعادتها ان يفقدنى فى ما بينه وبينى من صداقة قديمة فآثرت الصديق على الوريقة ، وقلت له لا بأس عليك فى الصديقة الفيلسوفة المادة ولى الروح . .

ثم وقفت الرسائل بغتة لسبب لا يعلمه أحــدنا ، ولعل خطاباً فقد بين بورتريــكو والقاهرة أو العكس وانتظر كل منا جواب الآخر بلا جدوى . وأذكر أن رسالتها الأخيرة كانت تصف فى تأفف وأسف حالة الأطفال المعدمين وهم يسيرون حفاة الأقدام فى تلك البلاد وأذكر أيضاً أننى لم أعلق على هــذه المسألة خشية أن يسوقنى الحديث الى مثل هــذه الحالة فى مصر لأننى لم أرد أن أتورط فيما لا يشرف

وكلما كنت أفكر فى أمر هذه الرسائل واختفائها فجأة كنت أقول لنفسى ، وكأننى واثق مما أقول « لابد انها تزوجت » لأننى أعلم ان الزواج فى معظم الأحايين يحصر الزوجين فى مساحة ضيقة من الكرة الأرضية ، ويقذف بهما الى ضرب من العزلة . ومن الغريب انه عندما التقينا للمرة الثانية فى أميركا ، ابتدرتنى بقولها : « لقد كنت أنت البادىء بقطع الرسائل فأيقنت أنك تزوجت » . ومن هذا يتضح أن الكبرياء هى التى حدت بكل منا أن يمسك يراعته عن التسطير للآخر قبل ورود الجواب ، حرصاً على الكرامة الشخصية .

دارت الايام دورتها على عجل ، وطوحت بى الاقدار الى بلاد العم سام مرة ثانيـة . وهناك فى مدينة نيويورك ألقيت عصا الترحال فى الطابق الأعلى من النادى المختلط او المنزل الأممى ، وقد كان على عادته يموج بخمسمائة من الرجال ، والف من النساء من خمس وسبعين أمة . وكم كان سرورى ممزوجاً حينما ألقيت نظرة على المراحل والغادى فى قاعات الاستقبال الفخمة ، وغرف المائدة . والموسيقى والحفلات بأثاثها الفاخر الذى كان لمدام دو كان الفضل فى تخير قطعه الفنية الجميلة — وألفيت فيه وجوهاً سبق لى عهد بإيناسها . وهناك من نافذة غرفتى التى تطل على نهر الهدسون كنت أشاهد تلال «البليسيد» شامخة وراءه ، غنية بأشجارها الباسقة ، زاهية بأزاهيرها العطرة . وهناك بين نهر الهدسون وأعالى «مورننج سايد» ، وتلالها وأشجارها كنت أشاهد بنايات الجامعة الشامخة تملأ أكثر من عشرة شوارع وعشرات الالوف من طلبتهـــا يروحون ويجيئون بين ضفة النهر ومرتفعات التلال ..... شاهدت ذلك كله فعقدت النية على البحث عن الفيلسوف الصغير لعلى أجد من أمره شيئاً .

بيد أن مجهودى فى بادىء الأمر كان مقصوراً على طرق الاندية التى كانت تتردد عليهـا الفتاة ولما لم أجد فى هذه جدوى ، قلبت صفحات مطوية فى مذكراتى القديمة فعثرت على عنوان منزل كان يقطنه ذووها فى بلدة نائيـة عن نيويورك ، وأثبت على ظهر الغلاف عنوانى حتى اذا لم يعثر رجال البريد على المرسل اليه رد الى الكتاب .

مضت أسابيع تليها الاسابيع ولم ترد الى الرسالة ولم يرد لى من الفتاة كتاب ، فنسيت المسألة وتركت الامور تجرى فى أعنتها حتى لمحت يوماً فى صندوق البريد رسالة طبع على غلافها « مستشفى

... مكتب دكتور س.م . الخ .... وكان الغلاف مكتوبا بالآلة الكاتبة ، ففضضته واذا بالرسالة مكتوبة بخط لا يزال رسم حروفه عالقا فى ذهنى . وقبل أن أقرأ فحوى الرسالة تركتها معلقة بين أناملى واطلقت لنفسى عنان التفكير متسائلا : ترى ما معنى المستشفى ؟ وما معنى الدكتور . فالخط خطها ، ولكنها لم تدرس الطب ولم يكن اتجاهها يوما اليه ؟ اذاً فما الذى قذف بها الى المستشفى ، اذ كانت هذه الموجة غير طبية ؟ لم أستطع الى حل هذا اللغز سبيلا الا بتصفح الرسالة وهذا ما جاء بها بحروفه :

حضرة الصديق العزيز —

شكراً لك على رسالتك الرقيقة الموجزة التى تداولتها أيدى رجال البريد فى كل ولاية من ولايات اميركا تقريباً حتى ضاقت نطاق غلافها عن أن يتسع للأختام والعناوين التى أخذ معارف فى مدن كثيرة يسطرونها بكل أنواع المداد وألوانه . ولو علمت مكان وجودى لوفرت على نفسك مؤونة البحث والكتابة ، فقد انتقلت رسالتك من نيويورك الى شمال الولايات المتحدة وجنوبها وغربها حتى سان فرنسيسكو على شاطئ الباسفيك الى الشرق هنا على شاطئ الاطلنطى وأخيراً دفعها الى ساعى البريد متعبة منهوكة القوى لطول السفر وربما تزداد دهشتك اذا علمت أننى أقطن عين الشارع الذى تقطنه أنت ولا يبعد منزل الواحد منا عن الآخر الا بمقدار ثلاثة أرقام . . . ولو كان خطر ببالك أن تفتح دفتر التليفون لوجدت أمام اسمى رقمين : الواحد للمكتب والثانى للمنزل . . . لقد قطعت بيننا صلة المراسلة البريئة فجأة فأيقنت انك تزوجت ، وخفت أن يعكر صفو الزواج رسائل لغير واحدة من الجنس اللطيف ، وان كان فحوى الرسالة مقصوراً على أنباء صديق قديم والسلام؟

يولد فى هذا المستشفى الكبير عدد ليس بقليل من الاطفال وهو معمل سيكولوجى يدرس فيه الفيلسوف الصغير ـ وهو الآن دكتور فى علم النفس ـ الاطفال منذ أن يستنشقوا الهواء لأول مرة ويسجل حركاتهم وسكناتهم وتأثرهم بكل ما يحدث حولهم . ويعاونه فى ذلك عدد من المساعدين الاخصائيين فى علم النفس ؛ ويبقى هؤلاء الاطفال فى عناية المستشفى حتى تفرغ التجربة . وقد وفقنى الحظ فى زيارة هذه العيادة السيكولوجية فى المرات التى زرت فيها أميركا بعد ذلك وكان آخر ما رأيت من التجارب فيها عدد كبير من التوائم . كان يعزل التوأم عن شقيقه أثر ولادته مباشرة ،

ويعنى كل منهما بطريقة مختلفة. فأحد الشقيقين يترك للطبيعة فلا يحاول أحد أن يعلمه شيئا ويربى الثانى على يد أحسن المربيات والمعلمات ويوازن بين الواحد والآخر . ومما لا يكاد يصدقه عقل ان التوائم من النوع الثانى تتعلم العوم فى الشهر السادس من عمرها ، وتقفز من علو شاهق فى السنة الثالثة .

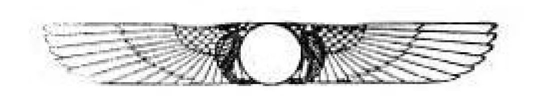
وحدا بى الى إعادة هذه الذكريات وتصفح ما كنت دونته فى مذكراتى من هذه الصفحة بطاقة وردت الى فى عيد الميلاد هذا العام كتب عليها ثلاثة أسماء تحيط بها حلية جميلة ثم كتب بها بخط واضح لا أزال أذكره «وان كنت لم أره من سنتين تقريباً» هذه العبارة :

« هذا «مشيرة الى الاسم الاخير » اسم طفلة صغيرة ، وليس اسما لكتاب كما تتوهم . تنشقت نسيم الحياة فى .... اكتوبر سنة ١٩٣٧ فزاد بيتنا منذ ذلك الحين بهجة وسروراً ونوراً ، وأحس كل منا بلذة لا تفوقها لذة وسعادة لا تعدوها سعادة ، وآمل أن يكون حظكما من الحياة حظاً مثلها . »

هذا وقد كنت قرأت فى جريدة نيويورك تيمس منذ عام أنها اقترنت بأحد الأطباء المعروفين هناك

هذه الذكريات قد يلذ القارئ مطالعتها وقد يعتب على الكاتب الذى صدع الآذان بها بغير جدوى ، فشكراً ومعذرة .

أمير بقطر



من تأملات الامبراطور الفيلسوف
ماركوس أوريليوس

ان العناية الالهية ترعى العالم . وأعمال المصادفة جزء من الطبيعة. وهى سدى ولحمة نظام العناية. ومن هذه العناية يفيض كل شىء . وتوجد معها الحاجة جنباً الى جنب وميزات الكون الذى أنت جزء منه ان الخير فى كل ما تجلبه الطبيعة فى كل جزء منها وكل ما تعين على صيانته . وليست صيانة نظام العالم متوقفة على التغيرات فى العناصر فقط . بل تتوقف أيضا على الكليات المركبة منها . كن قانعاً بما عندك . ولتجدن فى ذلك قوام حياتك

تأمل كم ظللت تؤجل وكم منحتك الآلهة من أيام نعمتها ما لم تحسن الانتفاع به. لقد آن لك أن تعنى بالنظام الذى انت جزؤه، وبذلك المدبر الذى يفيض منه وجودك وأن تدرك أن أيامك محدودة وانتفع بها لتنال الهدوء الذى لا تشوبه السحب . والا مضت ولن تعود فى نطاق قدرتك

ان الزمن فى حياة الانسان هو لحظة . والوجود مجرى. والحس كليل. والاطار المادى معرض للتلف . والروح نسمة مترددة . والحظ لا يمكن ادراكه . والشهرة غير ثابتة — وبالاجمال فكل ما يتعلق بالجسد مجرى يفيض، وكل ما يتعلق بالروح حلم وبخار . والحياة حرب وإقامة موقوتة. والشهرة يعقبها النسيان — واذن فما الذى ينبغى أن نوجه اليه جهودنا ؟ شىء واحد وواحد فقط — هو. الفلسفة التى هى حفظ القبس الالهى الكامن فينا مصوناً وبعيداً عن التلف ومرتفعاً فوق المسرات والآلام — لا تفعل أى شىء عن غير قصد ولا شيئا مزيفاً ولا بعيداً عن النبل . ولا تحتج شيئا مما فعل الآخرون أو أهملوا . تقبل النصيب المختوم كأنما هو صادر من المورد الذى صدر منه الانسان نفسه — وأخيرا ترقب الموت فى هدوء تام. وهو الانحلال الطبيعى للعناصر التى يتألف منها كل مخلوق . فان كانت العناصر التى يتركب منها لا تخشى شيئاً خلال التغير المستمر من شكل الى

شكل . فلماذا ينظر الانسان فى ريبة الى تغير وانحلال الكل؟ إنه من الطبيعة والطبيعة لاتعرف الشر

لا تعش كما لو كان لا يزال أمامك ألف عام . فان عليك ديناً عاماً يطالبك فى حياتك الراهنة والمحتملة بان تكون فاضلا

هناك قاعدتان للتأهب . كن على أهبة أولا لتعمل ما يمليه عليك العقل والملك والمشرع لمساعدة الرجال . وثانياً كن على أهبة لتغيير طريقك اذا أصلحه لك انسان آخر وحولك عن طريق غرورك وليكن فقط سبيل التحول مبنياً على اعتبار مقنع كالعدالة أو الصالح العام . ولتكن الغاية من هذا النوع فقط وليس لمسرة ظاهرة أو اكتساب محبة الجماهير

ما أعظم قيمة الزمن الذى يربحه الانسان اذا لم يلتفت الى ما يقوله الجار أو يعمله أو يفكر فيه . بل علينا فقط أن ننتبه الى أن أعمالنا تتفق مع العدالة والقداسة . لان الرجل الفاضل لا يلتفت الى ذوى القلوب السوداء . ولكنه يقصد فى استقامة الى هدفه . لا يلقى نظرة واحدة الى الوراء

هناك نوع من الناس عندما يعمل خيرا يلفت الانظار الى حقه فيه . ومع انه قد لايشتد فى الادعاء فالحال فى قلبه سواء اذ يتخذ مركز الدائن ولاينسى ماعمله . ولكن هناك انسانا آخر يقال عنه انه ينسى ماعمله . فهو كالكرمة تحمل عنقودا واذا ما حمل ثمرتها اللائقة لاتبحث عن شيء آخر كجزاء لها . كذلك الانسان الذى يعمل الرحمة لايرفع صوته بها ولكنه ينتقل الى عمله التالى كما تنتقل الكرمة الى حمل عناقيدها للموسم التالى

ماهو سلوكك فى الماضى نحو الالهة ونحو ابويك واخوتك وزوجتك واطفالك ومعلميك ومؤدبيك واصدقائك والمقربين اليك واهل بيتك ؟ هل تستطيع فيما يتعلق بهم جميعا ان تقول « لم اعمل عملا مؤذيا ولم اقل كلمة جافة »

ومع ذلك فلتذكر ماحفظك فى امان خلال حياتك . وما وجدت قوة على احتماله . تذكر ان قصة حياتك سردت باكلها . وتمت خدمتها . تذكر كم من صور الجمال رأيتها . وكم من المسرات والآلام حلت بك . وكم من المطامع لم تلتفت اليها . وكم عطفت على ما لا يستحق العطف.

الحياة اقرب الى الصراع منها الى الرقص . وينبغى ان تكون على اهبة لتقف بقدميها ضد كل الهجمات مهما كانت بعيدة عن التوقع

لتعش الحياة بلا ثورة وفى سلام تام . حتى ولو صاح كل العالم برغباتهم فى وجهك . اجل حتى ولو مزقت الوحوش المفترسة هذا الغشاء الجسدى عضوا عضوا . فى وسط هذا كله لا يستطيع شىء ان يمنع فهمك من الاحتفاظ بسكينته .

اذا اخطأ أنسان فارجعه الى الصواب برفق والفت نظره الى سوء الفهم . واذا لم تستطع فلم نفسك أو لا تلم أحدا

عجبا أيها الرجل . لاحاجة للتصريحات فان الحق يتكلم عن نفسه . انه يجب أن يكتب على جبهتك . أنه يرن فى الصوت . ويطل من العيون . كما فى محيا المحب يقرأ المحبوب كل شىء . الطيبة والصدق والبساطة يجب أن تكون كالمسك فائحة رائحتها لمن أراد ولم يرد . ينبغى أن يدرك عطرها من يقترب منها . ولكن ادعاء البساطة هو خنجر فى الكم . صداقة الذئب هى أعماق الدناءة . بعد كل شىء تجنب هذا فان الطيبة والبساطة والرحمة تطل من العيون ولا يخطئها أحد .

اذا تأثرت بمرارة وخرجت عن الصبر . فلا تذكر ان حياة الرجل انما هى لحظة . انها برهة وجيزة واننا جميعاً نرقد فى الموت

ان كل الأشياء الطيبة التى تتضرع من أجل الحصول عليها عاجلا او آجلا . قد تكون لك فى لحظة اذا أنت فقط لم تقف فى طريق نفسك . واذا أنت فقط تركت الماضى وحده وسلمت المستقبل الى يد العناية . فانك توجه الحاضر فى طريق القداسة والعدالة . عن القداسة حتى تكون فرحا بنصيبك المقسوم الذى حتمته لك الطبيعة . هو لك وأنت له . وعن العدالة حتى تتكلم الحق بحرية وبلا مذلة وتتبع القانون وتعامل الأشياء بما تستحق .

من كتاب لم يطبع

عطا الله عطيه

هيروهيتو امبراطور اليابان

يقارب اليابانيون سبعين مليونا . ولكن الامبراطورية تزيد على ذلك بكثير . اذ يضاف الى هؤلاء ثلاثون مليون كورى وثلاثون مليون منشوكى . وهذا غير ٤٥٠ مليون صينى هم الآن فى كف القدر لا يعرف هل ينجح اليابانيون فى اخضاعهم أم لا . ولكن المحقق انهم استطاعوا الى الآن تدمير عدد كبير من مدنهم واكتساح أقاليم واسعة من بلادهم ونشر الذعر والبؤس والفاقة بين نسائهم ورجالهم وأطفالهم

وامبراطور اليابان رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره تبلغ قامته ١٥٥ سنتمترا ووزنه ١٣٨ رطلا وقد قلنا انه « رجل » ولكن اليابانيين يعبدونه الها . ولقبه الرسمى « ابن السماء » وهو الرابع والعشرون بعد المائة من الاسرة المالكة التى عاصرت الفراعنة وهو متزوج بامرأة واحدة على خلاف العادة الامبراطورية فى التسرى اذا كانت جدته هو نفسه سرية . وله غلامان وثلاث بنات .

و « الوهية » الامبراطور تجعله بعيدا عن الاختلاط بالشعب . كما تجعل الجماهير تؤمن به وتحترم القوانين التى تصدر باسمه وترضى ببذل النفس لمرضاته . وهو حين تخرج مركبته وتسير فى الشارع يجب الا يعلوه انسان . فسكان الطبقة الثانية أو ما فوقها فى المنازل يجب أن يسارعوا الى النزول الى الطبقة الارضية حتى يكون مستوى رؤوسهم دون مستوى رأسه . بل القائم على العتبة العالية يجب أن ينزل عنها لهذا السبب . كذلك يجب الا يمس جسمه حتى الطبيب الذى يجس نبضه يجب أن يفعل ذلك ويده فى قفاز

والامبراطور مضمر فى كل مكان . فان رئيس المصلحة أو المكتب الذى يبعد عن العاصمة نحو الف ميل بل الذى يقيم فى كوريا يجب عليه عندما يقرأ قرارا أو منشورا لموظفيه أن يستقبل سراى الامبراطور

والانتحار يفشو بين الموظفين عندما يتوهم أحدهم أنه ارتكب خطأ نحو الامبراطور . فان سائق القطار

الذى كان يحمل جلالته قد تأخر عن الوصول الى المحطة بدقيقتين . فلم يكن منه الا أن أخرج مسدسه ومزق برصاصته قلبه . وحدث ذات مرة أن خرج الامبراطور فى اتومبيله ليزور احدى المدارس



الامبراطور هيروهيتو وزوجته

وكان مع السواق ضابط يرشده الى الطريق حيث المستقبلين . ولكن الاتومبيل وصل قبل ميعاده فلم يستطع المستقبلون اداء التحية . واعتقل الضابط لحاكمته . ولكنه لم ينتظر اذ قطع شريانه ومات قبل المحاكمة

وحرمة الامبراطور تبلغ القداسة الالهية . فقد حدث أن مجلة اسبوعية صينية وصفت غرامه بالعلوم فقالت أنه يؤدي للعلوم من الخدمات اكثر مما يؤدي للامبراطورية . فاحتج السفير الياباني على هذا الوصف والح في معاقبة رئيس التحرير الذي حكم عليه بالسجن أربعة عشر شهرا . وحدث ن مجلة أمريكية رسمت له صورة كاريكاتورية فكانت هذه الصورة موضوع المراسلات العديدة المتبادلة بين السفير الياباني وبين حكومة واشنطون

ومع أن الامبراطور هيرو هيتو يحافظ على التقاليد فانه قد خالفها في القليل . فهو مثلا يزور المسارح ويسيح خارج وطنه ويحضر المباريات الرياضية . وقد اختار زوجته بنفسه وليس في قصره سرية

وهو يهوى العلوم ويكب على درسها درس البحث . وهوايته ناموس مندل في الوراثة وهو كثير التجارب في النبات والحيوان كما أنه شغوف بالبحث عن الاحياء المائية . وهو يقضي بضع ساعات كل يوم في هذه الابحاث . يستيقظ في السادسة كل صباح فينجز مهام الدولة قبل الظهر ثم يتناول غداء خفيفا ويستأنف دراسته وبحثه للعلوم البيولوجية بعد الظهر . ويأوى الى فراشه في الحادية عشرة من المساء

ولكن الامبراطور هيروهيتو على هذه القداسة الالوهية التي يعزوها شعبه اليه لايمارس عملا جليلا أو صغيرا من أعمال الدولة الا بمشورة مجلس وزرائه ولا يعارض في أي مشروع يقدمه اليه هذا المجلس . بل ان التوبيخ الذي وجهه الى ضباط الجيش حين قاموا بالثورة قبل أكثر من عام قد وضعه له وزراؤه

لماذا نعتقد بالتطور؟

دليل التطور

لايمكننا اعادة فلم الحياة حتى نرى تطور الحياة منذ نشأتها ، ولكن تاريخ ذلك مسجل على الصخور منذ ملايين السنين وهناك من الأدلة المتعددة مايكفى ليكون سببا لايماننا بأن بالتطور هو السبيل لخلق أنواع الحياة . وهذا الايمان يجعل نظرتنا للحياة مشبعة كلها سمو وأمل . أما اذا لم نؤمن بالتطور فان نظرتنا للحياة تكون مجدبة . ومزايا الايمان بالتطور هى :

١ — الاعتقاد بوحدة الحياة على الأرض ووجود رابطة الدم بين جميع المخلوقات

٢ — تكون صورة ثابتة للحياة فى ذهن المؤمن إذ يرى أن الحياة آخذة فى التقدم دون توان ، أما مايعترضها من بعض عوامل التأخر فهو عرضى ضعيف الأثر

٣ — ليس التطور هو استمرار تعقد وتخصص أجهزة أنواع الحياة فحسب ؛ وإنما هو تقدمها فى الذكاء ، والسيطرة على الوسط ، ودقة الشعور والعاطفة والحرية

وتطور الانسان عن نوع القردة الغير الحالية الى انسان جاوه حتى الانسان الحالى يوضح مدى التقدم العقلى فيه .

إنه بفضل التطور أصبح جو هذه الدنيا جوا يتنسم فيه الرجل المتدين نسمات الحرية الحقة ؛ لأن فيه كل ارضاء للمثل العليا التى تدعو اليها الأديان ، إنه جو التقدم نحو الصحة والجمال ، نحو محبة الزملاء ، والعناية الوالدية ، والمحبة العائلية ، نحو التواضع لا الغرور ومشاركة الآخرين فى عواطفهم وأخيرا نحو طهارة الادمغة ونظافة العقول .

هل يمكننا مشاهدة التطور فى أثناء عروثه؟

نظرية التطور نظرية علمية مادية تبحث فى نشوء أنواع جديدة من النبات والحيوان وذلك من

تعدد التغيرات التي تطرأ على الأفراد الحالية وهذا يحدث في كل وقت مادامت هناك حياة فلو كان لنا عمر طويل « مليون سنة مثلا » لأمكننا أن نرى ما يطرأ على الاميبا تدريجيا حتى تصير حيواناً معقداً ، أو ما يطرأ على حيوان شبيه بالقرد حتى يصبح كانسان القرن العشرين .

ومع أن أعمارنا فضلا عن سلسلة أعمار أجيال متعاقبة من الانسان لا تصل الى هذا الحد فان ذلك لا يمنعنا من اثبات حدوث التطور بالادلة الكافية بل مشاهدته بالفعل .

وكما تحقق العلم من تحرك قطب الارض وقدر دورته الكاملة بنحو ٢٥٠٠٠ سنة ، وكذا قدر آلاف السنين التي تعمل فيها النجوم « المعتبرة تساهلا ثابتة » لابسط الحركات . كذلك أمكن الاستدلال بوضوح تام على حدوث التطور في الكائنات الحية ؛ ولتسهيل ادراك ذلك تدرس الحيوانات التي تعطي انسالا كثيرة متعاقبة في فترة قصيرة من الزمن ، فنتمكن من رؤية ما يطرأ على هذه الانسال من التغيير بتأثير الوسط والوراثة . وقد أمكن رؤية التغيرات التدريجية تبدأ طفيفة جدا ثم تكبر من نسل الى آخر حتى يتكون من النوع الحيواني أو النباتي عدة أجناس . وطبعا لا يمكن بأي حال أن نرى نشوء نوع حيواني من نوع آخر دونه بكثير في سلم الرقي كأن نرى نسل القط كلبا ، أو نسل الاميبة حيواناً فقرياً .

نعلم من التطور أن الحياة تدرجت من الاميبا الى الانسان مارة بملايين الاطوار في آلاف الملايين من السنين وهذا يدعونا الى التساؤل عما اذا كانت هناك أنواع جديدة لاتزال تنشأ عن الاميبا الحالية وسائر أنواع الحياة .

لذلك تدرس أنواع الاميبا ذات الغلاف أما الاميبا عديمة الشكل والهيكل فلا يسهل التأكد من التغيرات التي تطرأ عليها فتلك الاميبات تتزايد بالانقسام دون عملية التناسل . وقد شوهد حدوث تغيرات تدريجية أدت في النهاية الى أنواع جديدة من الاميبا ، يمكن أن نطلق عليها أسماء جديدة غير أسماء اسلافها . وعلى ذلك فانواع الاميبا في زيادة سريعة جـــدا بالنسبة لزيادة سائر أنواع المملكة الحيوانية .

وقد درست أميبا معينة وشوهد التطور واضحاً في حجمها ، وعدد زوائدها ، وأسنانها .

وفي ذبابة الفاكهة الدروسوفيلا وهي من الحشرات بدراستها لوحظ التطور في لون العيون ، وطول الاجنحة وتركيب الاجهزة الداخلية واضحاً جدا . وبذلك نشأت أجناس متعددة للدروسوفيلا

وعلى مر الاجيال ، يصبح التباين بينها كافيا لاعتبارها أنواعا مختلفة .

ولنلق نظرة على نظريتي الخلق المقول بها ولنرى أيتها أولى بالاعتبار ، نظرية الخلق الذاتي القائلة بأن الانواع خلقت منفصلة لاتتغير انسالها . أم نظرية الخلق بالتطور نتيجة لتغيرات تدريجية جوهرية على الانسال ؟ إن النظرية الاولى لا يمكن أن تقف امام التجارب السالفة اذن فليس يؤيدها غير مكابرة الرجعيين .

نظمي شحاته



القارات وسكانها

	المساحة بالأميال المربعة	عدد السكان بالمليون
آسيا	١٦٫٣٦٨٫٥٠٠	١٠٤٤
أفريقيا	١١٫٠٩٢٫٧٥٠	١٥٠
أوربا	٣٫٦٧٠٫١٠٠	٥٥٠
أمريكا الشمالية	٧٫٩٢٣٫٠٥٠	١٧٠
أمريكا الجنوبية	٦٫٨٦١٫٤٠٠	٧٤
استراليا	٣٫٠١٤٫٠٥٠	٦ ر ٦
جزائر المحيط	٢٫٧٨٠٫٨٥٠	١ ر ٣
القارة القطبية الجنوبية	٣٫٥٠٠٫٠٠٠	٠٠٠
مجموع مساحات اليابسة	٧٠٠ ر ٩١٠ ر ٥٤	ميل مربع
« « المحيطات	٤٥٠ ر ١٩٩ ر ١٣٧	ميل مربع

شيانج كاى شيك

زعيم الصين الذى وحد كلمتها

تحمل الجيوش اليابانية فى اكتساحها للصين علم التدمير والتقتيل ويجتمع الصينيون حول زعيمهم شيانج كاى شيك . ولذلك رأينا ان نذكر فيما يلى بعض ما يعرف عن هذا الزعيم

شيانج كاى شيك هو الآن فى الخمسين من عمره - وهو مضعضع الصحة له فقرة مكسورة فى ظهره ولذلك كثيرا مايتخذ جبائر من الفولاذ لتقويته . وهو الآن الديكتاتور الذى يقبض فى يده على مصير ٤٥٠ مليون صينى . وهو مع مايعرف من الاستعدادات الحربية اليابانية يؤمل بالنصر الختامى للصين ويقول « ان كل شىء يتوقف على استمرار روح الاتحاد بين افراد الشعب »

وقد ولد شيانج فى قرية صغيرة وحاول ابوه ان يلحقه باحد التجار ولكنه فر منه ودخل فى احدى المدارس الصينية الجديدة ثم رحل الى اليابان حيث التحق بالكلية الحربية فى توكيو وتخرج منها ضابطا . وهو لذلك لايعرف من اللغات الاجنبية سوى اليابانية كما ان اقامته مدة التلمذة فى توكيو جعلته يقف على مدى المطامع اليابانية وعلاقتها بالصين

ولما عاد الى الصين التحق بالجيش . ونشبت الثورة سنة ١٩١١ حين الغيت الامبراطورية واعلنت الجمهورية . فانضم شيانج كاى شيك بجنوده الى الثائرين وانتهى به المطاف الى ان صار السكرتير الخاص لرئيس الجمهورية الدكتور سون يات سين . فاعتنق المسيحية مثله وادرك قيمة الحضارة الحديثة فاتجه ذهنه الى هدم التقاليد الصينية العتيقة وتعميم الاراء العصرية

ولما مات رئيس الجمهورية سنة ١٩٢٥ كان شيانج كاى شيك قد انتهى مع حكومة موسكو على عقد قرض كبير للصين . وكانت عناية الروس المعينة فى شروط القرض ان ينفق على تعميم الشيوعية فى الصين . ولكن شيانج بعد أن حصل على المبلغ قطع صلته بالشيوعيين الروس وشرع

ينفق ما حصل عليه منهم على تجديد الصين وتعميرها وجمع كلمة قوادها

والصين قطر كبير جدا كان القواد يستقلون فيه بالأقاليم التى يقيمون فيها . فكان القائد كلما اعوزه المال عمد الى جباية الضرائب حتى أن بعضهم كان عند وفاة رئيس الجمهورية قد جبى الضرائب الى سنة ١٩٩٥ وكان على شيانج كاى شيك أن يصلح هذه الحال التى تبعث على اليأس التام . فانه وزع بعض ما حصل عليه من المال الروسى على هؤلاء القواد وطلب اليهم أن يكفوا عن جباية الضرائب ثم شرع ينظم البلاد لمكافحة الغارة أو الغارات اليابانية المنتظرة . فانه بادرس من الخطط الامبراطورية فى اليابان قد عرف أن الحزب الحربى اليابانى ينوى اكتساح الصين . فأخذ يعد الطرق ويشترى الاتومبيلات للنقل السريع ويدخر الذخائر والمؤن بل لقد اشترى من الطائرات والغازات السامة مقدارا كبيراً . وقد عرفت اليابان أيضاً أن مثل هذا الرجل لا يمكن أن يترك حتى يتمم برنامجه فى تجديد الصين . فعاجلته بالاغارة على منشوريا قبل أن يستعد للمقاومة . ثم استأنفت غارتها فى السنة الماضية لسائر الصين . ويذكر القراء أنه حدث فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ أن شيانج كاى شيك كان قد أسر فى



شيانج كاى شيك وزوجته مايانج سونج

جيش صيني شيوعي وانه أذيعت عنه أخبـــار مقلقة تقول بأن القائد يطلب منه بضعة ملايين من الجنيهات فدية . وقد سافرت زوجته اليه وهو فى أسره وأدت للقـائد مايطلبه . ويقال أن كل ما حدث انما كان مناورة من شيانج كاى شيك . اذ كان يريد أن يلتقى بقـائد الجيش الشيوعى ويتفق معه على مقاومة الغارة اليابانية التى كان ينتظرها والتى وقعت قبل أشهر . فانه أراد أن يذر الرماد فى عيون اليابانيين فادعى وأذاع أنه أسر وانه معتقل وانه مطالب بالفدية

وزوجة الزعيم الصينى هى شقيقـة زوجة رئيس الجمهورية المتوفى سون يات سين . وهى تدعى مايلنج سونج وهى من أغنى الاسر فى الصين . وقد تعلمت مايلنج فى احدى الـكليات الامريكية بالولايات المتحدة .وهى مسيحية شديدة الاستمساك بالدين تدعو الرسالات الدينية المسيحية الى المعاونة على انهاض الصين بانشاء المدارس . وهى وزيرة غير رسمية لايكاد يؤدى زوجها عمـــلا أو يمضى قراراً الا بعد استشارتها وموافقتها . وقد ساعدت فى انشاء «حركة الحياة الجديدة» وهى تقوم على تأسيس جمعيات من الشبان والفتيات غايتها خدمة الوطن بالاستقامة فى الاخـلاق وترك العادات الشرقية القبيحة التى ورثتها الصين عن تقاليدها . ومعظم الاصلاح الذى تنشده هذه الجمعية يتجه نحو الريف . حيث يتعهد الاعضاء بثلاثة أشياء هى : ابادة الفيران وقتل الذباب ومجانبة العـــاهرات . وهناك قواعد كثيرة منها مثلا أنه لايجوز للعضو أن يمضى فى القيل والقال أكثر من ربع سـاعة . وانه لايجوز للمرأة أن تدخن أو تتخــذ فستاناً مغريا . بل لقد اجيز للشرطة فى الشوارع أن يلقوا القبض على كل امرأة تلبس فستاناً مبهرجا . فانه ينزع منها ثم يحرق علنـــا امام الجمهور . كما منع الفتيات من صبغ شفاههن أو أظافرهن أو خدودهن . ومن هنا يرى القراء روح الجد فى الحركـة التجديدية التى تقوم بها هذه السيدة وزوجها .

وقد رأت مايلنج سونج أحجام الشبان عن الزواج فأسست مدرسة فى نانكين لتعليم الفتيات الفقيرات تدبير المنزل والطبخ .وهذه المدرسة تعلق من وقت لآخر اعلانا عن «موسم الزواج» فيقبل الشبان على زيارتها ويختار كل منهم الفتاة التى تعجبه ويعقد عليها لقاء خمسة جنيهات تأخذها المدرسة أجرة تعليمها .

ولم تطق اليابان رؤية الصين وهى تحقق هذا التقدم السريع فعاجلتها بالحرب .

القضاء المصرى فى الريف

كما يراه الاستاذ توفيق الحكيم

يدور موضوع أحد مؤلفات الاستاذ توفيق الحكيم حول قضية قتل متشعبة غامضة. وفى ثناياها يحلل الكاتب على لسان وكيل النيابة شخصيات الفلاحين ويعرض للقارىء صوراً من حياة الموظف ويرسم الطرق العتيقة البالية فى نظام القضاء فى مصر ويضع على المشرحة حياة القضاة وكيف يتعاملون وبالتالى حياة كبار الموظفين وكيف يعيشون. ثم يختم الكتاب ختاماً باهراً اذ تحفظ قضية القتل التى كان الكتاب بصددها لا لغموض القضية فقد قرب حلها بل حلت بالفعل. فانت تفهم القاتل من سياق الكلام ولكن قرب انتهاء السنة القضائية يوجب اسراع البت فى القضايا فيضطر وكيل النيابة الى انهاء قضاياه ومن ضمنها قضيتنا هذه.

وأجمل ما فى الكتاب أسلوبه !! ذلك الاسلوب العذب الذى تلمس فيه روح الدعابة وروح الجد يمتزجان معاً. فيكون ذلك أسلوبا عصريا بعيداً عن الزخرف يمتاز بتفكير حر جرىء ولا أستطيع أن أترك هذه النقطة دون أن أنقل بضع سطور من الكتاب تدل على الاسلوب البديع الذى يحلل به شخصيات الريف. قال « فظهر رجل كهل من المزارعين يبدو من زرقة شال عمامته المزهرة ومن جلبابه الكشمير وعباءته الجوخ الامبريال وحذائه الاستيك الفاقع أنه على جانب من اليسار واستواء الحال »

وها هو ذا يحلل شخصية أخرى فى سطور قليلة فيقول :

« فحضرت مومس ريفية قد زججت حاجبيها بعود ثقاب، وطلت وجنتيها بهذا الاحمر الفاقع الذى تطلى به صناديق الدخان السمسون وصورت بالوشم صورة قلب يخترقه سهم على ذراعها العارية، ووضعت فى معصميها أساور وغوايش من المعدن والزجاج الملون »

فأنت تلمس من هذه الأسطر القليلة الحياة .. الحياة تدب لتظهر لنا شخصية المومس الريفية مجسمة أمامنا .

* * *

بدأ الكتاب باستيقاظ بطل قصتنا : وكيل النيابة فى الساعة الثانية من صباح يوم ٢٣ أكتوبر، على صوت الخفير وهو ينبهه بالاستعداد للقيام لأن رصاصاً من مجهول قد اطلق على عبد الرحيم . فيقوم صاحبنا متثاقلا ، مصطحبا معه مساعده الجديد إلى السيارة حيث يجد حضرة المأمور قابعاً فى ركن منه . وتمر السيارة فى طريقها إلى مكان التحقيق على كاتب التحقيق وعم الشيخ عصفور وهو رجل جاوز الأربعين لاعمل له إلا مصاحبة هذه الجماعة إلى مكان الجرائم . . يتدارك النوم جفون وكيل النيابة حتى يستيقظ والسيارة واقفة أمام بيت العمدة . . وكان التحقيق مملا عاديا بين سؤال العمدة الذى أقسم بأن الجناة لابد أن يكونوا من غير بلدته واستجواب أهل القتيل الذين تكتموا حتى يثأروا لأنفسهم ومحاولة التكلم مع القتيل الذى كانت الرصاصة قد أفقدته حسه وقدرته على التكلم . . وهكذا أخذ التحقيق يأخذ مجراه والنتيجة لم تظهر ويلوح أنها لن تظهر إلى أن يتدخل عم الشيخ عصفور مقترحا معرفة القتيل « بالمرأة » وهنا يأخذ التحقيق فى الاتساع ويأمر وكيل النيابة باستحضار بنت القتيل لعلها تعرف شيئاً . فتستدعى «ريم » وهى ريفية حسناء ملكت لب الجميع ولا سيما المأمور . وبالتحقيق معها ومع بعض جاراتها وجيرانها عرف أنها كانت تحب شخصاً مات لأنه اعتزم الزواج منها ولكن أباها القتيل عارض أشد المعارضة فى هذا الزواج .

وهنا تلوح بارقة من الأمل فيأمر وكيل النيابة بالقبض على ريم وبالعودة وكانت الساعة ٤ صباحاً . وفى هذه الساعة المتأخرة لا يكون أحد فى القسم ولا حتى السجان نفسه . . فما العمل ؟ أين تقضى الفتاة ليلتها ؟ وهكذا يظل الجميع يتساءلون حتى أمر المأمور ، وكان أمره الفصل ، فأخذ ريم معه إلى منزله حيث تبيت ، والدار أمان كما قال لوكيل النيابة ، ولكن هذا الفصل لم يكن مقنعاً أو مريحاً لضمير أحد حتى الشيخ عصفور نفسه ولكن ما العمل ؟ هو احترام أمر المأمور .

ويعود وكيل النيابة فى الصباح التالى إلى المحكمة حيث ينظر حضرة القاضى القضايا العادية المستمرة فى الريف ، امثال ذبح خروف خارج السلخانة أو غسل الملابس فى مياه الترع أو أو الخ

ومما يجدر ذكره ، وقد أعجبنى خاصة ، أن بهذه المحكمة قاضيان قاضين سريع يأتى من مصر خصيصاً يوم الجلسة ويعود فى قطار الساعة ١١ صباحا ومهما كان عدد القضايا فان هذا القطار لم يفت هذا القاضى قط. أما القاضى الآخر فهو قاض يعيش مع أسرته فى المركز يريد أن يسلى نفسه بالنظر فى القضايا وقد شاب رأسه وهو ذو وساوس كثيرة فهو قبل أن يحكم يفكر كثيراً و كثيراً جداً فهو قاض بطىء لايستحب فى جلسة كهذه. كان وكيل النيابة ســاهراً الى الصباح خارج المنزل ولكن الحظ .. الحظ الذى يعاكس وكيل نيابتنا دائما أوقعه فى ذلك القــاضى البطىء ..

وأخذ القاضى ينظر القضايا ويأمر بغرامة عشرين قرشاً لكل قضية منها ولم يلح على واحد منهم أنه قد اقتنع بغلطته وهكذا يأخذ القاضى فى نظر القضايا وكلما ارتبك نظر الى وكيل النيابة قائلا « النيابة » فيستيقظ الوكيل من نومه مرددا كلاما فارغا يحكم على أثره القاضى ضد المتهم

الاستاذ توفيق الحكيم

ولكنك تستطيع أن تفهم الفرق بين ذلك القاضى والقاضى السريع. فان السريع لايستمع الى شهادة الشاهد اذا زادت عن كلمة فهو يواجه المتهم بغلطته ويطالب منه كلمة واحــدة نعم أم لا . ثم يحكم ويستمر يحكم حتى اذا قاربت الساعة ١١ خرج مهرولا وهنــاك ينظر بقية القضايا ويبت فيها وهو جالس فى صالونه بالقطار .

نعود فنقول ان أعصاب وكيل النيابة قد تكسرت ولها أن تتكسر

وهكذا تنقضى الجلسة دون حدوث شىء ، إلا أن ريم التى باتت عند المأمور لم تكن قد عادت

الى القسم فيبادر وكيل النيابة بسؤال المأمور فيقرر انها قد هربت من منزله ولم يرلها أثروها هو قد أرسل أعوانه الى المدينة ليبحثوا عنها

وتمر الأيام دون تقدم فى التحقيق فقد اختفت ريم ولم يعثر لها على أثر كما لوحظ اختفاء عم الشيخ عصفور . وفى يوم يضرب جرس التليفون منبئا وكيل النيابة بالحضور الى المستشفى لاستجواب المعتدى عليه فقد استطاع أن يتكلم .. وهناك فى دهشة المستشفى رأى عم الشيخ عصفور ومعه ريم جالسين القرفصاء فما رآهما حتى اختنق ليستدعى البوليس . ولكن ريم كانت قد هربت ولم يبق سوى عم الشيخ عصفور الذى قبضوا عليه وفتحوا له محضر تشرد ودخل فى تحقيق عنيف ولكن كل هذا لم يكن ذا فائدة .. عاد وكيل النيابة الى المستشفى ليرى الشيخ عبد الرحيم .. وما ان سأله عن سؤال القاتل حتى قال كلمة واحدة فاضت بعدها روحه وهى «ريم»

ولكن أين هى ريم ؟ بل أقصد أن أقول أين هو الوقت الذى يستطيع فيه أن يتعقب هذه القضية فهناك آلاف القضايا من هذا النوع تتكرر فى الريف فالغرائز البشرية لا تنام هناك .. كما أن السنة القضائية التى يجب بعدها أن يبت فى أمر جميع القضايا المعلقة قد قربت .وزادالطين بلة أن وكيل نيابةالجاور له أرسل له طرداًمن القضايا لدراستها والبت فيها ورجا منه مساعدته فى محنته والبت فى القضايا

وهكذا لا يستطيع وكيل النيابة هذا إلا حفظ القضية وورؤها آلاف القضايامن هذا النوع .

والكتاب كله ثورة على القانون المصرى الذى اقتبسناه من فرنسا دون النظر فى أحوالنا الاجتماعية وظروفنا الخاصة. فهناك قوم متحضرون يفهمون ولكن أين نحن منهم وأمامنا ١٥مليوناً على الاقل لايعرفون الشوكة والسكين ولا يعرفون معنى الاستحمام . أجل أيها القارىء فانى قد أعددت عدد الفقراء فى القاهرة وحدها الذين سيكون لهم حظ فى طعام قد تبرع به جلالة الملك وبعض الاثرياء فاذا به ١٥٠٠٠٠ فقير .. تصور ١٥٠٠٠٠ فقير فى القاهرة وحدها هذا عدا الآلاف الذين لن ينالوا شرف هذا الطعام .

أعود فأقول أن من ضمن قانوننا أنه لا يجوز لفلاح ان يستعمل الترعة فى غير أعمال تجارية أو زراعية وعلى هذا فلا يجوز له أن يغسل فيه ملابسه .. فأين يغسلها اذن .. ليس هنا كفرنسا توجد أنابيب تحمل الماء المقطر الصافى .. وهكذا ..

رشدى سعد

الفتيات السينمائيات

يرى القارىء هنا صورة فتاة سينمائية قد صعد الرسام الى وجهها لكي يرسم ملامح جديدة تتفق والدور الذي سوف تلعبه في الدرامة السينمائية المقررة . ونحن في كلامنا المألوف من الوجوه نعرف منها الاشقر والاسمر والابيض والعين الحوراء والعين الوطفاء والصدغ المروق والصدغ المكلثم والشاة اللمياء والاخرى الحمراء وتوقة الذقن او الوجنة ومن الانوف الاشم والمتعدل والمتبرر . ولكن الفنيين في التمثيل السينمائي يعرفون من الوجوه خمسة واربعين طرازا وهم لذلك يستخدمون البراعة الصناعية في تغيير الطبيعة او تبديلها والوجه هو اقل ما تحتاج اليه الممثلة من حيث الجمال او كمال الملامح . لان العبرة بالقامة واعتدالها : فان الوجه يمكن اصلاحه بالصناعة ولكن القامة تعسر على الاصلاح



ومن الاوهام الشائعة ان الممثلات السينمائيات يعشن عيشة المرح واللهو . مع ان قليلا من التأمل في حرفتهن يزيل هذا الوهم . فان الممثلة يجب ان تفهم سيكلوجية الدور الذي تلعبه ويجب ان تمرن وتعمق وتصون صحتها وتبتعد عن الانهماك في شراب او طعام حتى لا يترهل بطنها . وهذا الى ممارسة لا تنقطع للالعاب الرياضية المجهدة التي تحفظ الخصر . واعظم ما تخشاه الممثلة السينمائية ان يزيد نطاق خصرها ربع سنتمتر . فانها تسارع الى الصوم او تجهد نفسها في الرياضة العنيفة حتى يعود خصرها الى اصله

كما أعرفها

الانسة (مى) زيادة ..

اثرها فى الأدب النسوى وفضلها على النهضة الفكرية الحديثة

دراسة وتحليل — بقلم أسعد حسنى

من الكتاب ما هو ملخص جلسات ومدون وقائع وسارد أقاصيص ومنهم من اقرأ له أحيانا فاسائل نفسي عن حقيقته أهذه صراحة جرىء مقدام ؟ أم هي جسارة من يفتقر الي التثقيف ؟ ومنهم كولمبس جاء لاكتشاف عوالم جديدة

« مى » فى كتاب « الصحائف »

أذاعت الصحف فى الأيام الأخيرة نبأ شفاء الكاتبة النابغة الآنسة « مى » من مرضها الذى ألم بها منذ زهاء سنتين أو يزيد . اذ اختلط ذهنها وضعفت ذاكرتها ، وتهدمت قواها الفكرية ، التى ظلت أكثر من ثلاثين عاماً تفيض على الناس روائع الآثار ، وبدائع الخلق ، ومباهج الانتاج ما يعتبر بحق ثروة طائلة من نفائس الآداب ، وذخيرة عظيمة فى عالم الفنون والاجتماع ...

ولعل الآلاف من الناطقين بالعربية فى أطراف الشرق جميعاً الذين طالما هدهدت « مى » عواطفهم على ايقاع شعرها الساحر ، وطالما انتفعوا واستمتعوا بنفحات هذه الكاتبة العظيمة من خلال آثارها البديعة التى كانت للحياة النابضة مرآة ، وللعاطفة المشبوبة مثالا ، وللعقل الناضج محرابا — قد اطمأنت قلوبهم لهذا النبأ السار ، وعاودهم الرجاء والأمل ، بعد انقطاعهما . وخفت لوعتهم على مصاب هذه الأديبة التى امتد لهيب عبقريتها الى كل قطر ، وعطرت الجو الادبى فى مصر خاصة بشخصيتها الممتازة ، ومؤلفاتها القيمة التى تنم على وفرة الاطلاع ونضوج الفكر والحيوية الدافقة ، التى أهلتها للمنزلة السامية التى بلغتها فى نفوس اهل العلم والفضل والادب ، الذين طربوا لشفائها . وحمدوا الله على نجاتها من هذا المكروه !

شخصية « مى » كاتبة ومحررة

« مى » بطبيعتها انسانية المنزع والمشرب . وكتاباتها بغير شك فيها صحة البقاء ، وطابع

الخلود : اذ اجتمع لها من المواهب الفريدة والمميزات العالية ما لم يجتمع لجيل من الادباء . فهى بين أهل الادب،وذوى الاقلام والكاتبين من السعداء المفردين وحدهم ـ الذين حق لهم أن يقبضوا على «الصولجان» دون أن تخاف على زوال هذا الملك من يدها أو افلات زمامه من قبضتها ... كانت« كولمبس »الادب العربي جاء ليكتشف دنياءوعوالم جديدة ... لانها غنية بمعارفها وثقافتها ، موفورةالذكاء جمةالنشاط ، وقد بنت شهرتها الواسعة على أساس وطيد ومجدها الادبي قائم على دعائم قوية ثابتة ،تقيها من التداعى بالدأب على العمل والمثابرة . وعدم الخمول ، أو الركون الى الراحة . .

فالانسة « مى » التى تجيد ست لغات حية ، قراءة ، وكتابة ، وتأليفاً ـ ولم يكن فى الشرق بأسره من يضارعها بين كتاب العربية ، ولا من فاقها بين نساء العالم الاوربى حتى اليوم ـ فى سعة اطلاعها ، وحسن بيانها ، وبعد نظرها . . هذه الاديبة ، النابغة كانت اثارها وكتاباتها ، ومؤلفاتها ، على الدوام ، اقل جداً من شخصيتها . وكان انتاجها ، وادبها ، « ابهت » من حديثها اللامع المشرق . اذ كانت تجيد الحديث بأحسن مما تجيد الكتابة . وذلك كله مرجعه الى أنها « فتاة شرقية » . وان كانت تعيش بعقل أوربى . . الأن أثر « البيئة » ـ وهى تراث الاجيال العديدة ، كان يضطرها الى الصمت ، وعدم المصارحة امام جمهور القراء بكل شيء . . فهى فى الوقع كانت فريسة حرب « نفسية » بين روحها وعقلها ، بل بين الحديث والقديم ، وبين العاطفة والادراك ـ . .

ولعل من استمع الى « مى » المحدثة ، او أنصت اليها خطيبة ، ورأى أندفاعها الجرئ ، الذى يأخذ بمجامع القلوب ويملأها غبطة وسلاماً ، وقد أصبح مسحور اللب من روعة بيانها ، وطلاوة حديثها الذى يتجلى فى صفاء الفاظها ، ليؤدى بهذه الجزالة الرنانة السافرة ، وهذا الاسلوب الموسيقى الرصين ، وتلك المعانى الدقيقة ، يحيط بها جميعاً جو من السحر والجمال ، والعمق والتغلغل ، والفتنة والخيال ـ البعيد عن تلك الرغبة فى التخوف التى تلازمها وهى تكتب شيئاً يذاع ، او تعقد فصلا يقرأه مئات الناس . .

* * *

ومنذ كتبت « مى » فى الصحف ، من زهاء ثلاثين عاماً ـ أصبح اسمها رناناً ذا دوى وصدى

فى مجتمعات العلم والفنون ، ودوائر الاجتماع والاداب . وكتاباتها تفيض بالرائحة « الانثوية » و« نكهة النساء » ، كأنها تكتب عفو خاطرها ، متدفقة فى غير تكلف ، معبرة عن طبيعتها النسائية أصدق تعبير ، بحيث لم تكذبها طبيعتها هذه ولو مرة واحدة . فهى تكتب للناس جميعاً ، محاولة ان تنزعهم من المادية الجامدة التى تستبد بهم ، الى المثل العليا ، التى تخلق فى النفوس جواً من عذب الخيال . وتنقلهم على أجنحة الاحلام من أرض الحقيقة المقيدة البارزة ، التى تتمثل على مسرحها رواية الحياة المتكررة فى كل زمن ومصر ، الى سماء المعنويات والارواح التى تهيم مى فى رياضها الغناء . . من غير ان تدرك هى مدى الفروق الشاسعة بين الارض والسماء !

وكانت « مى » لا فى كتابتها فحسب ، بل فى حياتها الخاصة أيضا ـ تطلب من الحياة مثلا عليا ، لا تحققها طبيعة الدنيا والواقع الملموس . فكانت تلوذ بالصمت وتجنح الى « الصبر » . عندما تفلت زمام الاحلام من يدها . . وتجابهها الحقائق الارضية الوضيعة . فتبحث بغير جدوى ـ عن صديق تكشف له همها ، او اليف يشاطرها اسى قلبها ، أو يبدد صداه ، وحالها هذا الامر ، فانفجرت نفسها حسرات . حتى اصابها مس فى عقلها ، انتهى بها الى هذا المرض . ولم يكن ذلك الا من خلل « البيئة » سيما بعد ان تخطف الموت والديها ، فعاشت وحيدة . . بين المحابر والطروس ، بغير انيس . . ولو ان « مى » ولدت فى اوربا ، او نشأت بها لما اصيبت بهذا المرض ، بل دانت على الاغلب والاعم ، تتزوج ، او تجد فى هناء العيشة الاجتماعية ، والبيتية ، ما يجنبها هذا المرض . ولكن هنا فى مصر ، او فى الشرق على العموم ـ لم يكن ذلك سهلا على فتاة اديبة ، من طرازها ، ولها مثل ما « لمى » من المواهب والمميزات !

نشأتها . . وصورتها . . وثقافتها !

ولدت « مى » فى مدينة « الناصرة » التى استقبل « المسيح » عليه السلام ، ضوء الحياة الاول بين ظهرانيها . ولم تدخل المدرسة الا بعد ان جاوزت العاشرة من عمرها . فدخلت مدرسة « عيطورة » وبقيت بها ثلاثة اعوام . وانتقلت بعد ذلك الى مدرسة « الراهبات الفرنسيسكان » فى بيروت ، فمكثت بها سنة واحدة ، ثم انتقلت مع والدها وا سرتها الى مصر . وانشأ والدها المرحوم الاستاذ

الياس زياده بك جريدة يومية « المحروسة » . وهنا درست الانجليزية ، والايطالية ، والالمانية وترجمت عنها رواية « ابتسامات ودموع » . .

ومالت « مي » الى الادب بكليتها ، فأقتحمت غماره بقدم ثابتة . وتجلت مميزاتها ، وبرزت مواهبها بوضوح عظيم . ونتج من احتكاك افكارها باراء المفكرين فى هذا الزمن ، ان احب القراء آثارها ، ووجدت منهم تشجيعا على ان تكتب فى الصحف ، خصوصاً بعد ان دعا « قاسم بك امين » — نصير المرأة ومحررها — دعوته المباركة ، فانبرى الى الميدان كثير من الفتيات النابغات ومنهن « باحثة البادية » التى كان لها مع « مى » حديث ذو شجون . . .



الانسة مى

وكان الادب فى ذلك الوقت فى اعتبار الناس — هواية لايجب الاستسلام لها . بل كان الاديب فى عرفهم الشائع ، قرين الفقر وحليف التشرد ، لقلة مايدره الأدب على صاحبه من الربح المادى . وذلك لعمرى ، حظ الاديب فى كل عصر وان كان حسن الطالع قد يصعد بالبعض الى اوج الشهرة وذرى الثروة ... ولكنه صعود اشبه مايكون بصعود « النيازك » تنير وهى عالية ، ثم لاتلبث ان تهوى الى الحضيض منطفئة ... ولايزال الاديب الى اليوم يحرق نفسه كالشمعة ، وينير للاخرين ، وهو يحترق الى ان يفنى . وهذه الحقيقة ، كانت اشد بروزاً فى الزمن

الماضى . منها اليوم . لذلك كان جميلا وعظيما من فتاة مثل « مى » تفهم هذه الحقائق . وتقدرها وتدركها كل الادراك . ومع ذلك فهى لاتحجم عن النزول الى مضمار الادب . وتقديم نفسهـا لتحترق بدورها . لتنير للعالم السبيل . وهى تغنى !..

وكانت «مى» على رغم سعة اطلاعها . وعظيم استنارتها . ابعد النساء طرآ عن «الاسترجال» واشدهن استمساكاً بالخصائص النسوية . فانت اذا رأيتها بقامتها الربعة . ووجهها المستدير . وهى زجاء الحاجبين . دعجاء العينين يتألق الذكاء فى بريقهما . ويجلل هـذا الشعر على صفحة الجبين . فيرفع عنه بخفة ورشاقة — اذا رأيتها . وهى على هذه الصورة وابتسامة الخفر ترقص على شفتيها فى بعض الاحايين . ـــ فليس فى وسعك الا ان تحكم بان « مى » الكاتبة التى تطالعك بعظمتها بين السطور ـ هى « مى » الفتاة التى لم تنتحل صفات « الاسترجال » ـ بل ظلت كما هى منذ كانت طفلة صغيرة ، ومنذ كانت فى صدر الشباب ، ومنذ اصبحت مكتملة وجاوزت الصبا ، ومنذ نضجت وغدت ترفع بكتاباتها الناس الى عوالم النور ، ومسارح الاحلام ، ودنيا الامال ، التى يضل فيها الخيال . . !

كتبها .. ومؤلفاتها .. وأسلوبها ..

زودت « مى » عالم التأليف ، بمجموعة ثمينة من الكتب التى سحرت النفوس ، وخلبت الالباب . منها ما اعتبره كثير من ائمة النقاد والادباء ، انموذجاً جديداً عالياً للنقد الادبى على أحدث الاساليب التى يجرى عليها الكتاب فى العالم المتمدين . ومنها ما يعتبر بحثاً فى حياة عظيم من العظماء ، علقت على ترجمة بارائها الخاصة ، واقامة الادلة المنطقية فى تأييد الحقائق التى ساقتها فى معرض البراهين على صحة نظرياتها وأفكارها خلال هذه الدراسات . وبعضها تناول موضوعات حية فى النقد . أو مبادئ اجتماعية وعمرانية . أو مذاهب حديثة فى الادب والفنون والتاريخ . والبعض الآخر روايات مترجمة وشعر . .

واذا صح ماقاله أحد المستشرقين ، من ان تاريخ مصر برمتها ، فى عهدها الحديث ، انما ينحصر فى بضعة أشخاص يفكرون بقوة ، وارادة اكثر من غيرهم ـ وأنهم منحة الطبيعة والعصور ـ فلا ريب ان « مى » على رأس المفكرين ، وفى طليعتهم . اذ هى منحته نفسها وجائزة العمل ،

والدأب ، والاجتهاد . وما أقل اصحاب العقول المستقلة ، والنفوس الحرة التى تتحرر من المألوف ، وتكتشف الحقيقة ولو من خلال استار ، وتصورها لعين غير عينها كما تراها بكل معانيها . حتى وان لم يكن تقريرها وفق هواها ورغبتها .

ولكن « مى » مع ذلك ـ لم تكن ممن يجعل للشعور اهمية على الرغائب . او يضع باسلوب المطالب فوق التصورات والاطماع ولذلك كنت تراها تتناول المواضيع الاجتماعية ، بروح الخيال ، وان كان يموج طلاوة وحلاوة،او كان معززاً بزبدة معارفها الواسعة . وكانت تبتكر فى هذا الاسلوب؛ليكون له من القوة ما يجعله يثبت فى الاذهان . كمن يفتح لنفسه سبيلا التقدم فى زحمة الناس . ثم توشيه بروح مطبوعة بطابع الامتياز والتفوق الذى يوفر له من أسباب الجاذبية بين السطور ، ما يوقظ حب الاستمرار فى المطالعة والقراءة فى قلب القارئ . فان وجد نفسه قد خرج من محيط البحث الذى كان فيه . فان التأثير العميق الذى يخلفه الاسلوب الجميل فى صدده ، سرعان مايرده ثانيا الى الدائرة التى كان فيها أول الامر . .

* * *

وحسبي بعد هذا العرض السريع ان اذكر ان القارئ المؤلفات « مى » يجد نفسه فى النهاية ، قد استبق فى ذهنه وصدره ، من ارائها وافكارها ومبادئها ، تلك الحقائق الجميلة التى توجد دائما فى مؤلفاتها ممزوجة بالخيال البديع . مع بلاغتها الفائقة ، فى التعبير عنها وتصوير ما بنفسها من امانى وأحلام . وقدرتها على الابتكار فيها ، وتوليد المعانى عنها وافراغها فى قوالب انيقة من الجزالة والرصانة والدقة المتناهية !

فانت اذا قرأت « الحب فى العذاب » تلك القصة الفياضة بالعواطف الانسانية . والتى ترجمتها « مى » عن الفرنسية ، باسلوب الشاعر الرحيم الملهم ، الذى يحنو على العالم ، ويمسح دموع المعذبين . او «رجوع الموجة» او «ابتسامات ودموع » او « سوانح فتاة » او « ظلمات وأشعة » او « بين المد والجزر» او « الصحائف » او « كلمات واشارات » ـ فى كل هذه المؤلفات العظيمة التى جمعت الى بدائع الصور . نفائس التراكيب . وجمال الصياغة . وجلال الموضوع وروعة المعانى ـ او اذا قرأت « باحثة البادية » او « وردة اليازجى »او «غاية الحياة » او «الرسائل » ـ وقفت على عقل ناضج . ومفكرة كبيرة . سديدة الرأى . دقيقة الحكم على الاشياء . تزن

الحقائق بقسطاس العدل . وتستحضر النتائج عنها . فى اتزان وروية . من غير ان يسبق قلمها فكرها على الاطلاق !

كلمة ختامية

ان «مى» فى الحقيقة زعيمة الكاتبات فى الشرق بغير منازع . وقد استوعب التاريخ اسمها . وسجل الدهر اثرها . واقر الجميع بفضلها فى تكوين الادب النسوى الحاضر . وكان لابحاثها القيمة ومبادئها القويمة دخل كبير فى رقى التفكير المصرى والتقدم بالادب الحديث . ذلك لأن عقلها الواسع كان ينبوعاً فياضاً بالوان الحكمة ومباهج المعرفة . وخير النظريات الجديدة التى اكتسبتها من المطالعة والتوفر على الدرس . واصبحت بعد ان وضحتها وضمنتها اثارها وكتبها حكماً مقررة عند ذوى الاذهان النيرة ...

وان فى تاريخ «مى» وفى تفصيل ما اصابها ، لعبرة واى عبرة . يعرف منها الناس تلك الحقيقة التى لااختلاف عليها ، وهى أن الاديب كالشمعة ، يحترق ليضئ لغيره ! فضلا عما تنطوى عليه من المعانى الأخرى الجمة . وليدرك الناس مرة أخرى ، كيف يعيش كبار النفوس ، والاحلام ، واسمو الاطماع والامال ، لغيرهم اكثر مما يعيشون لانفسهم . وكيف يمضون اعمارهم ، وهم يحاربون الصعاب ، ويذللون العقبات ، كى يتوصلوا الى ما يبتغون اليه من خدمة الانسانية بما اوتوه من العلم والحكمة والمعرفة . . .

* * *

هذه الكلمة عن «مى» ليست فى حقيقتها ، غير تحية عرفان وبر وتقدير . ترسلها اليها ، وهى ماتبرح نزيلة المستشفى فى بيروت ، راجين لها من الاعماق كال الشفاء ، لتعود الينا من جديد ، وتنير آفاقنا الموحشة ، بأدبها الرفيع السامى ، وقلبها الحى العالى ... ؟

«اسعد حسنى»

أقدم أنواع الجهاد
فى سبيل العدل الاجتماعى والمساواة

فى المسئولية الادبية

عن كتاب «فجر الضمير» للمصرولوجي الاميركي برستد
ترجمة وتلخيص الانسة أيريس حبيب المصرى

كان من بين المفكرين الاجتماعيين المحيطين بفرعون «امينمحت الأول» ورجال بلاطه طائفة لاتشاركه تشاؤمه الشديد . ولقد رأينا كيف أن عدداً منهم أدرك تمام الادراك ان الحاكم الامثل الذى يحلم به بعض المصلحين لايكفى وحده لضمان العدالة والاصلاح وانما يتحتم أن يقف الى جانبه رجال مخلصون متصفون بالنزاهة . وقد بدت هذه الحقيقة واضحة فى الرسالة المسماة «بالفلاح الفصيح» التى قصد بها كاتبها الى أن يمهـد السبيل امام رجال الحكم المهيمنين على البلاد ليقوموا بواجبهم ويعاونوا فرعون فى عمله فيفتحون بذلك عهداً جديداً من العدالة .

وهنا يعن لنا أن نتساءل : هل أثمرت هذه الرسائل الاصلاحية ؟ وهل نتبين مما وصل الينا من آثار لذلك العصر القديم وملفاته آثار هذه الجهود صوب العدل والانصاف ، أم ان الآمال السامية والمثل العليا التى ما فتىء المصلحون ينادون بها لم تتحقق بل ظلت خيـالا وأوهاما لم تعد دائرة الأمانى ؟ وهذه اليقظة التى حدثت فى العصر الاقطاعى وكشفت للمفكرين عن الحقيقة المرة وعن أسباب التفكك الاجتماعى وما تبع هذه اليقظة من خيبة وتشاؤم — أبقيت هذه اليقظة عقيمة لم تنتج اثراً ؟

لقد رأينا أن فئة من المصلحين كانت كل آمالها منحصرة فى قيـام حاكم أمثل فى حين أن الفئة الأخرى منهم وجهت انظارها صوب مجموعة من الزعماء المصلحين . وعلى الرغم من تشاؤم امينمحت الأول فان لدينا براهين قاطعة على أنه قام بمجهود هائلة ووضع خططا دقيقة ليكفل للملك العدل .

وكان ممثل الملك وصاحب الأمر الأعلى فى حكومته هو رئيس وزرائه . ولقد وصلت الينا بعض ملفات بردية كتبت فى عصر الامبراطورية «أى بعد هذا العصر بأجيال» تتضمن رسالة كان يلقيها الملك شفويا بنفسه كلما عين رئيساً لوزرائه . وهذه الرسالة العجيبة تثبت أن أحلام من تغنوا بالحاكم الامثل قد تحققت فيما يتعلق بشخصية الملك وان روح العدل الاجتماعى التى نادوا بها قد وصلت الى العرش نفسه وسرت بين رجال الحكم فصارت القاعدة لأعمالهم



الآنسة ايريس حبيب المصرى

وهذه هى الرسالة :

« الامر الملقى على الوزير فلان » تقدم الى المجلس الى حضرة الفرعون ، له الحياة والخير ، صدر أمر من واحد «والمقصود بذلك فرعون» ان يؤتى بالوزير فلان الذى القيت اليه مقاليد الوزارة حديثا

« قال جلالته : التفت الى وظيفة الوزارة ، تفقد كل مافيها من عمل ، فان عملك فيها هو الاساس الذى ترتكن عليه البلاد بأسرها .

« تأمل جيدا فان الوزارة ليست مورداً عذبا .. بل انها مرة . والوزير هو نحاس داخله ذهب مولاه . تنبه فليست الوزارة أن تحابى اشخاصاً معينين ، الامراء والمستشارين ، وليست الوزارة أن تستعبد الناس لنفسك . تأمل حين يأتيك مظلوم من مصر العليا والسفلى أو من أية جهة من البلاد لكى

* هنا كان يكتب اسم الوزير لذلك اختلف فى الملفات .

يرفع اليك ظلامته ... تنبه واعمل على أن تترسم القانون فى كل شىء ... وأن تراعى عادات البلاد فتعطى كل انسان حقه . هو ذا الأمير فى مكان ظاهر للجميع ، وأعماله معروفة مأثورة ، حتى الرياح والمياه تنقل أخباره ، لا شىء مما يعمله يظل سراً مكتوماً ... »

وبعد هذه المقدمة يذكر بالتفصيل الوسائل التى يتحتم الوزير اتباعها فى حكمه على من يأتون اليه ، ثم يشير الى حادث مشهور عن حكم صدر من وزير من عصر الاهرام اسمه كتى .

« هو ذا قصة وصلتنا عن الأقدمين محفوظة لنا فى ملفات تمقيس فاه بها الملك حين شاء أن يحث وزيره على الاعتدال ... احذر ذاك الذى قيل عن كتى ، فقد روى عنه أنه أصدر حكما جائراً على بعض من أقاربه محاباة للغرباء حتى لا يقال عنه أنه حابى أقرباءه باطلا وحين استأنف أحدهم الحكم أملا فى أن يعدل القاضى « كتى » عن رأيه لم يستمع اليه بل صمم على حكمه الأول . ولكن مثل هذا العمل هو أكثر من العدل « ماآت »

« لا تنس أن تحكم بالعدل فانه لبغيض الى الاله أن تظهر محاباة وهذا هو التعليم الذى تسلمتاه فاعمل تبعاً له . انظر الى من تعرفه بنفس النظرة التى تنظر بها الى من لا تعرفه ، والى ذاك الذى يكون مقربا الى الملك كما تنظر الى من يكون بعيداً عن البيت الملكى . هوذا الامير « الوزير » الذى يعمل هذا سيثبت هنا فى هذا المكان . . .

« لا تغضب على انسان باطلا ، بل اغضب مما يجب أن تغضب منه

« اعمل على أن يهابك الجميع ، وادخل خوفك فى قلوب الرجال . فالامير هوذاك الذى يهابه الشعب . وهو ذا خوف الامير هو أن يكون عادلا يخشى عدله . أما اذا تشدد وغالى فى ادخال الرهبة الى القلوب فهو رجل به شىء من النقص فى نظر الشعب . وهم لا يقولون عنه « هو ذا رجل حق » هو ذا خوف الامير أن يرتدع الكاذب حين يعلم أن « الأمير » يسير فى سبيل العدل . فانتبه تحصل على المهابة ان أنت حكمت بالعدل .

« انتبه فهو ذا الناس ينتظرون اقامة العدل من الوزير ، هذه هى القاعدة المعهودة منذ الايام الاولى حين حكم الاله . والناس يقولون عن كاتب الوزير ، هو ذا كاتب عادل . . اما « ذاك الذى يقيم العدل فى نصابه أمام أعين الجميع » فهو الوزير ،

«انتبه لأنه حين يكون رجل فى وظيفة ما فعليه أن يقوم بما أمر به . ونجاح الرجل فى أن يؤدى ماعهد به اليه . لاتتوان عن اقامة العدل الذى أنت تعرف قوانينه . وهو ذا يجدر بالمتكبر أن يعرف أن الملك يحب المتواضع أكثر مما يحب المزهو بنفسه

« انتبه فهذا ، هو الامر الملقى على عاتقك »

والأمر المؤكد مرارا خلال هذه الرسالة الرسمية العجيبة هو وجوب مراعاة العدل الاجتماعى . فالوزارة ليست وسيلة الى محاباة « الامراء والمستشارين » ، ولا الى استعباد أحد من الشعب ، بل هى وسيلة الى اقامة العدل تبعا لحكم القانون فى كل الشؤون ، من غير اغفال حقيقة واقعة هى ان الوزير فى مركز بارز وانه معروف لدى الجميع . وحتى الرياح والمياه تنقل اخباره . وليس معنى العدل والابتعاد عن المحاباة ان يجور الحاكم على الكبراء والاقارب كما فعل كتى الوزير المنفيسى القديم الذى أصدر حكمه ضد أقاربه على الرغم من صحة دعواهم . وذلك لكى يشتهر بالعدل . فليس هـذا عدلا . وانما العدل هو الحكم بتدقيق وبدون محاباة على الاطلاق ومعاملة الجميع بلا تفريق سواء أكان الامر خاصا بالمقربين الى الملك او بالبعيدين عنه ، وسواء أكان الحكم متعلقا بمن يعرفهم الوزير او بمن لايعرفهم . ومثل هذا العمل هو الذى يضمن للوزير الاحتفاظ بمنصبه زمنا طويلا ومع ان الوزير يجب ان يتحكم فى نفسه ويحذر اظهار غضبه بلا مبرر الا أنه يجب أن يكون مهابا محترما ، ولكن خوف الناس منه يجب ان يكون مرجعه الى شدته فى الحق ، والى دقته فى تنفيذ العدل بلا محاباة . لان «الخوف الحق للامير هو انه يقيم العدل» . لذلك لم يكن من الضرورة اثارة الرهبة فى القلوب لمجرد الزهو والظهور . اذ ان عـدل الحاكم هو فى ذاته رادع كاف . والناس يتوقعون العدل من الوزير لان هذه هى القاعدة المعهودة منذ ان حكم الاله الشمس على الارض . فالمصرى فى العهد الاقطاعى كان هنا يرمى ببصره الى الوراء خلال الالف السنة للوحدة الثانية صوب الوحدة الاولى فى هليوبوليس مدينة الشمس . فمنذ تلك الايام السحيقة كانت كلمات «ذاك الذى يعمل العدل امام أعين الشعب كله» هى المثل البارع كفاية عن الوزير . ونجاح الرجل فى وظيفته يقوم على مقدرته فى اتباع الاوامر . لهذا لايسمح له بالتوانى فى اقامة العدل ، اذ ان الملك يحب المتضع الاعزل اكثر من المتكبر . ثم بعد الاشارة الى الاراضى التابعة للعرش وما يجب على الوزير من مراقبة للموظفين القائمين بادارتها يختم الملك هـذه الوثيقة السياسية التى

تتضمن القواعد الاساسية للحكم ويصح تشبيهها من هذه الناحية « بالماجنا كارتا » التى صدرت فى أيام الملك جون بهذه الكلمات : « انتبه فهذا هو الامر الملق على عاتقك . »

ترى هل كانت رؤيا الحاكم الامثل الذى تغنى به ايبور أمام البلاط او الصورة القاتمة التى رسمها لتشائم ، او تلك القصة الظريفة الرشيقة المسماة بقصة الفلاح الفصيح ، او هل كانت هذه جميعا هى السبب الذى ادى فى النهاية الى ان يسود العرش جو من العدل والبر الى درجة بعيدة حتى ان أقامة الوزير الاكبر « الذى هو فى الوقت ذاته القاضى الاعلى للبلاد » كانت تتخذ فرصة لكى يلقى الملك خطاب عرش« هو بمثابة وثيقة رسمية من رئيس الدولة الى كبير الهيئة التنفيذية » يتضمن الاسس والمبادئ التى يقوم عليها الاصلاح الاجتماعى ؟ اذ يمكننا القول اجمالا ان هذه الوثيقة للوزير الاكبر حين تنصيبه تتفق تماما وتعاليم الرسائل الاجتماعية . وسواء أكانت سياسة الملك الاجتماعية هى الاثر المباشر لتلك الرسائل ام لا فان النتيجة واحدة فى الحالين وهى انه من الواضح تماما ان الضمير فى العصر الاقطاعى لم يعد مجرد القوة التى لها كل الاثر على السلوك الفردى ؛ بل انه صار لاول مرة فى التاريخ البشرى قوة اجتماعية فعالة . ومن الظاهر ان الملك اصبح يتأثر الى حد بعيد بالآراء الادبية التى ذهب اليها المفكرون الاجتماعيون فصار العدل الاجتماعى هو الاساس الذى تقام عليه الحكومة . وبذلك انقضت تلك الايام القديمة التى كان السلوك فيها مرضيا ان هو صادف رضى الوالد والوالدة والاخوة والاخوات ، وقام ما يمكن ان نسميه الضمير الاجتماعى ، وبقيامه اشرق اول عصر للشخصية .

ولقد تحققت احلام المنادين بحاكم امثل حين اعتلى امينمحت الاول العرش . فكيف كان حال الفئة الاخرى من المصلحين الذين بنوا آمالهم على جيل جديد من الموظفين العادلين ؟ والواقع انه لايمكن التفريق بين آراء الفريقين لان حكم الملك البار لايمكن ان يكون ذا اثر فعال مالم تدعمه مجموعة من الموظفين العادلين لينفذوا الخطة الملكية . وقد ادرك امينمحت الاول هذه الحقيقة تماما . وبما انه كان شديد التشكك فى الرجال فقد كان قليل الامل فى ان يقدر بنزاهته وحده ان يحقق ما كان يطمح اليه من وجوه الاصلاح . ولكن الكاتب المجهول الذى الف قصة الفلاح الفصيح كتبها منتظرا ماتحدثه من أثر . والادلة متواترة على أن ظنه لم يخب .

وقليلة هي الملفات التى وصلت الينا خاصة بطرق الحكم وبالسياسة الاجتماعية فى مصر فى عصورها القديمة . ولكن الاشراف فى عصر الاقطاع تركوا لنا معتقداتهم ومبادئهم الاجتماعية فيما نقشوه على جدران معابدهم من اعترافات . ومن بين المقابر الموجودة للآن ببنى حسن مقبرة ربما كان الذين يرونها لايلقون اليها كبير التفات من الناحية المادية . ولكنها تعد وثيقة من اعجب الوثائق الاجتماعية فى التاريخ . وهى تمكننا من ان ندرك بان اثر المصلحين الاجتماعيين قد وصل على الاقل الى بعض الحكام من الجيل الناشىء . فقد كتب امنى (وكان الحاكم الاقطاعى لتلك المنطقة) فوق مدخل مقبرته : « لم اسيء معاملة فتاة من بنات مواطنى . ولم اتعب ارملة . ومامن فلاح طردته من ارضه ولامن راع ابعدته ، ولامن رئيس مسئول استبعدته لانه قصر فى دفع الضرائب فلم يوجد فى مقاطعتى بائس ولاجائع . وحين حلت سنو المجاعة حرثت كل الحقول الموجودة ضمن حدودى من الشمال الى الجنوب . فحافظت بذلك على حياة اهلها وقدمت لهم الطعام لئلا يجوع احدهم . فاعطيت الارملة كا لتلك التى لها زوج . لم ارفع الكبير فوق الصغير فيما وهبته . ثم جاء النيل العظيم «الفيضان» وكثرت المحاصيل ولكننى لم اطالب بالمستحق لى . »

وفى هذا التقرير نستطيع ان نتتبع صدى الكلمات الواردة فى رسالة الملك فى تنصيب وزيره لاسيما فى تلك الكلمات : «لم ارفع الكبير فوق الصغير فيما وهبته . » ومن السهل ان نعتقد بان هذا الشريف كان حاضرا فى القصر الملكى وانه سمع اوامر فرعون لوزيره . فان كانت تلك الاقوال التى خطها امنى تعبر تعبيرا صحيحا عن اعماله فانه يحق لنا ان نستنتج بان التعاليم الاجتماعية التى نادى بها الحكماء كانت ذائعة بين الاشراف فى طول البلاد وعرضها . بل لو فرضنا انه حاول ان يصور حكمه فى صورة مثلى فاننا نستطيع ان ندرك السبب فى حرصه الشديد على تصويره بهذه الصورة . وهذه الصورة ذاتها تتفق وماخطه الاشراف الآخرون فى ذلك العصر . وهى تبدو لنا كذلك فيما خط على الصخور فى (منجم «بناحية هاتنوب) اذ نقرأ أن شريف تلك الجهة كان رجلا يخلص الارملة ويعين المتألم ، يدفن الشيخ ويعول الطفل ، ويحافظ على حياة أهل مقاطعته أيام القحط ويطعمهم حين تنعدم الاقوات ، ويعطى دون تفريق بين الكبير والصغير »وقد رأينا أنه فى حكم سنوسرت الاول «ابن (امنمحت الاول)

يفخر شريفان بانهما اقاما العدل بغير محاباة ومن دون انتظار الجزاء . وهم يعبرون عن مباهاتهم هذه بنفس الكلمات التي وردت في تعاليم موجهة الى امريكرى. وهكذا يظهر أن المثل العليا الاجتماعية التي دعا اليها حكيم هراكليوبوليس الشيخ كانت لاتزال ذات أثر فعال فى العصر الاقطاعى بعد أن نادى بها بأجيال . وليس من شك اذن فى أن تلك المثل التى طالما رددها المفكرون فى كل ما كتبوا لم تصل الى العرش فحسب بل انها تركت طابعها فى طبقة الحكام فى كل مكان .

هنا اذن نلحظ تطوراً عظيما . فلقد تقابل التشاؤم الذى ملأ نفوس الرجال فى أول العهد الاقطاعى حين كانوا يتأملون الحياة فيا بعد أو يرقبون الاهرامات المهجورة واليأس الذى استحوذ على بعض منهم حين طغى عليهم الشعور بالشرور الاجتماعية ، تقابل التشاؤم واليأس بتيارات قوية مضادة من الاستبشار والامل فى العدل الاجتماعى، وبدت هذه التيارات بوضوح فى تعاليم المتفائلين من المصلحين الاجتماعيين — اولئك الرجال الذين لم يفقدوا الامل فى التجديد والنهوض وآمنوا بامكان تحقيق أحلامهم بالجهاد صوب الاصلاح . وليس من شك فى أن وصايا ايبوور وتنبؤات نفروهو وقصة الفلاح الفصيح كانت أمثلة رائعة على مثل هذا الجهاد وان كتابتهم لم تكن سوى أسلحة فى أيدى أقدم كتيبة من جيش المصلحين المغامرين . وماذا كان يبغى ايبوور اكثر من أن يسمع تلك الرسالة التى وجهها الملك الى كبير وزرائه ؟ فان ملكا ينطق بمثل هذا الخطاب لهو ملك يقرب كثيرا من ذلك الحاكم الأمثل الذى حلم به ايبوور وظن نفروهو أنه عثر عليه . كذلك ليس يبعد عن الصواب أن نعتقد بأن امنى (صاحب المقبرة ببنى حسن) كان يمثل خير تمثيل ذلك الجيل الجديد من الحكام العادلين الذى تاق مؤلف قصة الفلاح الفصيح الى أن يراهم مسيطرين على شئون مصر .

وقد سبق أن رأينا أن الرضى العائلى عن السلوك الفردى لم يعد كافياً . فلقد نمت المثل العليا خلال عصر من التأملات كانت نتيجتها التضامن الاجتماعى — فصار السلوك الفردى محلا لنقد المجتمع يصدر حكمه عليه وصار مرجع هذا الحكم الى الاله الشمس . فقد قال الفلاح الفصيح للوزير الاكبر « اعمل البر لأجل رب البر » ثم أشار بعد ذلك الى « تلك الكلمة الصالحة التى خرجت من فم رع نفسه » : تكلم الحق واعمل الحق ، » التى تذكرنا بأن الحق معناه أيضاً البر والعدل (ماَت). ونرى

فى الارشادات التى وجهها الملك الى وزيره أن برنامج الرفق والعدل الذى يعبر عنه بكونه يحب المتضع الاعزل أكثر مما يحب المتكبر قد صار دينياً موحى به من الله . « وانه ليغيض الى الله أن تظهر محاباة » قال فرعون . فترى اذن أن الآراء عن العدل الاجتماعى كما عبر عنه المفكرون أولا فيما تطلعوا اليه من حاكم أمثل وثانيا فيما رأوا من تحقق هذا التطلع فى شخصية الملك أمنمحتب الأول قد تحولت بسرعة فصارت الصورة المنعكسة للاله الشمس الملك الامثل . فصار واجباً على كل انسان أن يحتفظ بالعدل الاجتماعى لان هذا الواجب ليس سوى مرسوم الهى ، وصاروا يعتقدون بان بغضهم الظلم والمحاباة ليس سوى نتيجة لبغض الاله لها ؛ ولم تلبث المثل العليا أن تحولت جميعاً الى نواة الحيثة فازدادت بذلك قوة ونفوذا .

وكان من السهل بعد ذلك الاعتقاد بان العدل لم يكن سوى قاعدة الحكم المعهودة للوزير منذ أن حكم مصر الاله الشمس . وكان حكم فرعون موروثاً خلال أكثر من الفى سنة منذ أن قامت الوحدة الأولى ومستمداً من الاله الشمس نفسه الذى كان الفرعون ابنا له . ولذلك تحتم على الفرعون أن ينسج على منوال أبيه الاله الشمس باقامة البر والعدل ، لهذا يلقى الملك أمره على وزيره ولكنه لا يتراجع فى الوقت نفسه عن أن يذكره بالمحكمة العليا . فالوزير يجب أن يقيم العدل لا لأن الفرعون وحده يطالبه بالعدل بل كذلك لأن الاله الاعظم للدولة يبغض الظلم

وقد كان أثر هذه المثل العليا للعدل الاجتماعى بالغاً والتمسك بها شائعاً — ولعل ذلك يرجع الى الطريقة التى نهجها المفكرون فى التعبير عنها . فهذه المبادىء لو أنها كتبت كمعان مجردة من غير ربطها الى صور تمثلها ما كانت لتثير شيئاً من الاهتمام على الاطلاق . كما ان المصرى كان يعبر دائما عن أفكاره بطريقة مادية ملموسة ويوضحها بوضعها فى صور . فلم يكن يفكر فى السرقة بل فى سارق ، لا فى الحب بل فى حبيب ، لا فى الفقر بل فى فقير ، ولم ير الشرور الاجتماعية بل رأى مجتمعاً شريرا . وكنتيجة لهذه العقلية صار فى الامكان أن ينشأ بتاحوتب — أى ينشأ رجلا مواجها للواجبات الموضوعة عليه بايمان ثابت فى قيمة السلوك الادبى وفى العلوم ومايتنج عنها من سعادة وغبطة ومسلما اختباراته هذه لابنه ، وأن ينشأ المتشائم — أى أن ينشأ رجل تركز فيه الالم لما يراه حوله فصور لنا النفس اليائسة وسبب يأسها ، وأن يقوم أيبوور — رجل استطاع أن يدرك ما فى مجتمعه من شرور

وأن يحلم بالحاكم الامثل الذى يعيد الحق الى نصابه ، وأن يكون الفلاح الفصيح حقيقة ـ اذ هو رجل تألم مما وقع عليه من ظلم وثار ضده ، وأن ينشر أمنمحات رسالته وهو ملك أضاع ثقته فى الناس ونقل تشاؤمه الى ابنه . فكانت النتيجة أن كل هذه المبادىء السامية والمثل العليا وضعت فى قالب روائى وأنها كتبت كحديث أو محاورة وصفية للاختبارات والحوادث فصورتها كحقيقة واقعة . وربما كان من الشيق أن نحاول تعرف ما اذا كانت هذه الطريقة كان لها أثرها على الأدب فى أوربا وآسيا فقد كان المصريون يعبرون عن تأملاتهم وفلسفتهم بمحاورة تسبقها مقدمة . ومعنى هذا أنهم كانوا يكتبون آراءهم فى قالب روائى . وربما كان هذا القالب أساس نشوء القصة فى آسيا وأوربا .

وقد لاحظنا آن المثل العليا الاجتماعية للعصر الاقطاعى اكتسبت صفة الهية وصار مصدرها الهيا فمن الضرورى أن نفحص عن الادلة على هذه الحقيقة وان نتثبت من حقيقة الاله الذى اتخذه المفكرون الطامحون الى الحكم الاعلى وليس من شك فى أن أقدم تطلع صوب العدل الاجتماعى كان متصلا بالاله الشمس الذى حكم مصر لفرعون . وقد رأينا كيف انه كان فى أول الأمر مهيمنا على مرافق الناس وانه كان اله الاحياء بينما كان اوزوريس اله الموتى . فمن الواضح اذن ان الحاكم الامثل كان رع الاله الشمس الذى كان الواجب على الفرعون ممثله على الارض ان يحتفظ بمجده الادبى وان يجدده . وقد اشار الملك فى رسالته الى وزيره الى حكم الاله الشمس والى رضاه والى ما تسلمومنه من تقليد معتبرا اياه المرجع الاعلى للسلوك . ورع هو الذى يبرز فى كتابات الفلاسفة الاجتماعيين الذين نادوا بالاصلاح فى عهد الاقطاع . وفى انشودة لاعب القيثارة نرى انه حتى المومياء تقام امام الاله الشمس . واليه يتطلع المتشائم ايتبرر ربه فيما بعد . كما ان كيكبرسونب كان كاهنا فى هليوبوليس مدينة الشمس . اما رؤيا ايبوور للحاكم الامثل فتشرق من وراء الذكريات التى تعيد الى ذهنه عصر الاله الشمس وما كان يتمتع به شعبه وقتذاك من الراحة والغبطة ، كما ان قصة الفلاح الفصيح تتلخص فى تلك الكلمة الجيدة التى خرجت من فم رع نفسه : «تكلم الحق واعمل الحق » «او البر لانه عظيم ولانه باق.» فالواجبات الادبية الناشئة عن عبادة الاله الشمس هى اذن صورة لاقدم تجديد اجتماعى عرفه التاريخ. واهم ما نشأ عن تقديس الحاكم الامثل فى شخص رع هو الاحتفاظ دوما بالامل فى ان يقوم حاكم امثل غيره يجدد قوى مصر ويثبت دعائم سلطانها بالعدل . تروى ملفات الاهرام كيف ان اوزوريس

نفسه قد وقف امام رع فى محكمته العليا . وهكذا نجد ان رع صار الحكم الادبى الاعلى الذى يتبرر امامه الجميع ومن بينهم اوزوريس . ولم يبرز اوزوريس كبطل حام البر الا منذ العهد الاقطاعى . ومنذ ذلك العهد سار قب اوزوريس ورع جنبا الى جنب فى التفكير الادبى.

وهكذا انضم الاعتقاد الدينى الى الحكم الاجتماعى واضيف اليهما ما كان ينطق به فرعون من خطب رسمية لكى يثبت ان الجميع سيقفون امام رع فى محكمته العليا وان الكبراء والعظماء عليهم ان يتوقعوا المحاكمة وينفذوا امر رع فيهم كما ينفذ فى الفقراء والمساكين . فليس من سبيل الى الشك فى ان هذه المبادئ عن العدل الاجتماعى كانت من أقوى الاسباب التى ادت الى الاعتقاد بان الرجل الذى يرضى عنه رع ويبرره فى محكمته العليا ليس الرجل صاحب القوة والجاه وانما هو رجل البر والعدل . وقد تأثر الكهنة بتلك الروح الديموقراطية . والكلمة التالية تثبت هذه الحقيقة اذ يقول الاله الشمس :

« لقد خلقت الرياح الاربع لكى يتنفسها أى فرد كما يتنفسها غيره » .

« لقد اوجدت المياه العظيمة حتى يستطيع الشحاذ ان يستعملها كما يستعملها الشريف » .

« لقد خلقت الناس جميعا متشابهين خلقة ونهيتهم عن ان يعملوا الشر ولكن قلوبهم خالفت ما قلت »

« قد جعلت قلوبهم لا تنسى الغرب : الموت « والقبر » كى يقدموا التقدمات والذبائح لآلهة المناطق » .

ومن الشيق جدا ان نجد هنا المساواة التامة بين البشر فى قوله . « لقد خلقت الناس جميعا متشابهين » ثم يلى هذه الكلمة تعليق يظهر قيمتها الادبية « ونهيتهم عن ان يعملوا الشر ولكن قلوبهم خالفت ما قلت »

وظهور مثل هذه النظرة للمجتمع التى تزول فيها كل الفوارق والاعتبارات الاجتماعية ويتساوى البشر عند الخالق حين ظهرت الخليقة فيصبح كل فرد مسئولا ادبيا على قدم المساواة مع غيره هى نظرة عجيبة رائعة حين نذكر انها ذاعت قبل المسيح بألفى سنة وانها كانت معاصرة تقريبا لعصر حامورابى الذى وضع قوانين مشهورة . ولم يذهب حامورابى فى قوانينه الى المساواة بل اكد

بأن العقوبة والأحكام القضائية يجب أن تكون رهينة بالحال الاجتماعية للمتهم وبين تدرج العقوبة تبعا لطبقات الناس .

هنا اذن الغاء لامتيازات الكبراء والعظماء فى السعادة فيا بعد وشيوع للغبطة . اذ صار الحق فى الراحة الابدية حقا مشاعا يتساوى فيه الجميع . فعلينا اذن أن نتلمس أثر مثل هذه الافكار عن العدل الاجتماعى التى قامت فى عصر الاقطاع عن معتقدات المصريين فيا يتعلق بحظ الروح البشرية فيا بعد القبر .

ايريس حبيب المصرى

انتشار اللغات

اللغات الرئيسية فى العالم وعدد المتكلمين بكل لغة منها بالملايين

اللغة الصينية	٤٠٠ مليون	اللغة الاسبانية	٧٠ مليون
« الانجليزية	٢٠٠ «	« البرتغالية	٥٠ «
« الروسية	١٤٠ «	« الايطالية	٥٠ «
« اليابانية	٨٤ «	« البنغالية	٥٠ «
« الألمانية	٨٠ «	« العربية	٤٠ «
« الهندية	٧٢ «		
« الفرنسية	٧٠ «		

فى السرعة

سرعة الضوء	١٨٦٣٢٦	ميل فى الثانية
« دوران الأرض حول الشمس	١٨،٥	« « «
« قذيفة البندقية	نصف	« « «
« نقطة على خط الاستواء	٠،٢٨٩	من الميل فى الثانية
« الصوت فى الهواء	١٠٠٨	قدم فى الثانية
« « « خشب البلوط	١٢٦٦٢	« « «

كيف نعمل على احياء الثقافة العربية

للدكتور حسين فوزى

كانت مجلة الحديث قد سألت هـذا السؤال
للدكتور حسين فوزى فأجابها بهذا المقال التالي

لى فى الثقافة العربية القديمة رأى خاص لا شك فى أنه يصطـــدم بعواطف قراء الحديث على اختلاف أوطانهم . ومع انى مصرى صميم فانى موقن بان الغالبية العظمى من المصريين تشارك العالم العربى فى استنكار رأيى . بل ربما كانوا أكثر المتكلمين بالعربية غضبا منه . لذا أرجو أن لا يعتبرنى قراء هذه المجلة الا معبراً عن رأيى الفردى الخاص فى احياء الثقافة العربية القديمة .

ماتت الثقافة العربيـة عقب القرون الوسطى وذهب غبارها مع الثقافات الاخرى التى عرفتها أوربا فيما بين انحلال الامبراطورية الرومانية وعهد الرينسانس. ولا قيمة للثقافة العربية عندى اكثر من انها لعبت دور انتقال فى العصور الوسطى فكانت مستودعا لبعض مظاهر تفكير اليونان فيما قبل عصر احياء العلوم . وهو دور ايجابى جليل يمكن أن يضاف اليه الدور السلبي الذى لعبه العثمانيون حينما قضوا على حضارة بيزنطة فخرج علماؤها وتشردوا فى أوربا وكانوا نواة من نوى عصر الاحياء .

واذا ثبت تاريخيا احراق مكتبة الاسكندرية على أيدى العرب فان هؤلاء النـاس قد ارتكبوا اكبر جريمة ثقافية عرفها التاريخ . وتحملوا بذلك وزرا لاتقاس الى جانبه اوزار التيوتون والمغول والتتار والهولاك ومن اليهم ممن كانوا يدوسون الحضـارات فى تقدمهم الذريع . فاذا التمسنا لهؤلاء المدمرين جهالتهم فأى عذر نلتمس للغزاة العرب؟ كل ما أرجوه ـ حبا فى اللغة العربية وأهلها ـ ان يثبت العرب براءة أجدادهم من جريمة احراق مكتبة الاسكندرية

واذا كان المستعربون اليوم يهمهم أمر الثقافة العربية القديمة فهذا شأنهم ، ولهم ان يحيوا من مواتها ما أرادوا . اما انا فلا اقيم لها وزناً أكثر من انها حلقة اتصال بسيطة بين اليونان وعصر الرينسانس . ولقد انطفأ كما ينطفىء السراج نضب زيته واحترقت ذبالته . بل وانكسر اناؤه ايضاً فلا فائدة ولا امل من احيائها . بل واعتقد انه من خير جميع الامم التى تتكلم العربية ان تنصرف عن خيالها بشأن هذه الثقافة فلا تضيع وقتها فى نبش قبور لن تجد فيها حتى ولاعظاماً متماسكة . « كانت تراباً وهى الى التراب تعود » .

على أن هذا لاينفى المحافظة على التراث الفنى لثقافة العربية من آثار باقية . ودراسة تلك الآثار وفهم مركزها ضمن الآثار الفنية فى العالم . كما لايمنع من الاستقصاء والبحث عن بواقى الثقافة الفانية . لا لأحيائها . بل للاحتفاظ بها كمتحف يضم اثار الماضى ويساعد على تفهم خطوات الانسانية منذ وجد الانسان على الارض .

هذا ما اراه خاصاً بالثقافة العربية فى مجموعها . ولكنى أستثنى منها مظهراً واحداً أدعو للعناية به عناية كبرى بحكم انه المظهر الوحيد الذى لم يمت منها ، ذلك هو اللغة العربية . ومادمنا نتكلمها ونكتب بها فان واجبنا الاحاطة بكل اثارها منذ أقدم العصور حتى اليوم . وهذا لا تعده احياء فاللغة العربية حية لم تمت ، لا بفضل الثقافة العربية ذاتها ، بل بفضل الشعوب التى خضعت للعرب فأهملت لغاتها واتخذت منها لغة الدخلاء الغزاة بديلا

ولكنى هنا أود ان اقيم حدا فاصلا بين اللغة كمظهر للتعبير . وبين ما تعبر عنه هذه اللغة ذاتها . فمع ان دراسة لغتنا يقتضى فهم كل الاحوال التى عبرت فيها تلك اللغة عن مشاعر او أنواع من التفكير فانه من العبث ان نأخذ عن هذه الأحوال ما لافائدة منه فى ثقافتنا الحاضرة . فلست افهم معنى او أرى فائدة او انتظر تجديدا لأدبنا او فننا او علومنا اليوم من محاولة احياء أدب اختص بأنواع من الخيال والاحساس والتفكير ابعد ماتكون عن أحساساتنا وخيالنا وتفكيرنا لا فى القرن العشرين فحسب بل فى بلادنا المتباينة اخلاقا وعادات وطبيعة . أو محاولة أحياء فلسفة هى فى مجموعها تعليقات سطحية على فلسفة اليونان ، أو علوم هى خليط من الملاحظة الناقصة والتهريف والنقل عما كان معروفا للعلماء اليونانيين .

فكتب الجغرافيا والطب والكيمياء والفلك التى تكون كنزاً هاماً من كنوز الثقافة العربية يجب ان تهمنا اليوم لا من ناحية « محتوياتها » بل من ناحية اداة التعبير فيها . وهى فى هذا تتصل بكل ما كتب فى اللغة العربية من شعر ونثر فى انها اداتنا اليوم للتبحر فى اللغة و اللغة وحدها .

وعلى هذا اختم جوابى عن السؤال الأول من الاستفتاء بالمجمل الآتى :

الثقافة هى الصيغة الفكرية اى المظهر المكتوب والمبنى والمنحوت والمنقوش للحضارة والثقافة الحية تعنى ان اهلها يعيشون حضارتها . والحضارة العربية القديمة قد راحت بلا رجعة . فلم يبق لثقافتها الا قيمة الأثر فى المتحف . ماعدا لغة هذه الثقافة فهى ذات حيوية رائعة بدليل ملابستها لتطور جميع الشعوب التى تتكلمها .

فجوابنا عن احياء الثقافة العربية مجتمعة : لا إحياء لميت .

وجوابنا عن احياء اللغة العربية : لا إحياء لحى . اذا تكتسب اللغة العربية قوة وجدة ومرونة كلما استطعنا فهم اصولها ومراحلها وتطور حياتها ، ومن ضروراتها ، وما يؤثر به الماضى والحاضر على مستقبلها .

لذا أرى ان يريح العالم العربى نفسه ويريحنا من فكرة احياء الثقافة العربية القديمة . وان يركز اهتمامه فى دراسة اللغة العربية فى جميع مظاهر التعبير الادبى والفنى والعلمى .

عشت فى أوربا وعاشرت اهلها زمناً جعلنى الاحظ ظاهرة تشترك فيها جميع الدول الكبرى . تلك الظاهرة هى ان الامم الحية تهتم اولا وآخراً بآدابها الخاصة ، فتفرض دراستها بتفصيل يكاد يضيق به ذرع طلبتها . ولكنه تفصيل لامناص منه اذا نظرنا الى الكم الوفير من مباحث رجال الادب .

ثم رأيت انها تهتم بعد لغتها الخاصة بدراسة اللغتين اليونانية واللاتينية وادابهما بغير قليل من التفصيل .

وهى بين هذا وذاك معنية بتدريس لغة او لغتين من اللغات الحية . تطلع طلابها على أعلام المؤلفين فى تلك اللغة .

فاذا وجهنا النظر الى ينابيع الثقافة العامة : الصحف والمجلات وبيوت النشر ، وجدنا فى كل

امة اهتماما كبيرا بأعلام الادب الاجنبي تخصيصاً والعالمي اجمالا . فهناك «متاع عام» تملكه كل امة من هذه الامم في لغتها يحتوى على نتاج القرائح البشرية في الشرق والغرب وهناك اسماء هي ملك للعالم اجمع امثال تولستوى ودستويفسكي وجوته وموليير وشكسبير ودانتي وسرفانتس وفي عصرنا : توماس مان والداس هكسلي وبروست وسنكلير لويس وبيرانديللو ولورانس واناتول فرانس ورومان رولان ودوهامل وأندريه جيد . وهذه اسماء ترد على قلمي دون تمييز او تفكير او تعيين . وهي تحتمل ان يضاف اليها أضعاف أضعافها فما هو موقفنا من الامم الكبرى الآن ؟ وماذا ينبغي ان يكون عليه منها ؟

اما فيما يختص بلغتنا فنحن نجهل الادب العربي . ودراستنا له لاتتعدى القشور التي تسمح للرجل ان يؤدى وظيفته الاجتماعية في بلاد تتكلم العربية . والسبب في هذا اننا اكتفينا بما جاء عن اللغة العربية في الثقافة العربية - اى اننا نعتمد في دراستنا للغتنا وآدابها على عصارة تفكير رجال اللغة العربية حتى القرن الرابع عشر والخامس عشر ا تعوزنا الدراسات الحديثة . وقد بدأناها بفضل تلمذ رجال اللغة العربية اليوم على ... المستشرقين او بفضل حصولهم على قسط من ثقافة الغرب . ولكننا لم نوجد بعد دراسة عربية حديثة للغة العربية وآدابها فيما عدا الاقل من القليل . واكتفى بهذا لانه خارج عن موضوع الاستفتاء .

أما دراسة اللغة اليونانية واللغة اللاتينية فان كثيرا منا - بل أغلبنا - يعتقد أن اهتمام الغرب بهاتين اللغتين يرجع الى أنهما « لغتا الأصل » . واذا كان هذا صحيحاً الى حد ما فأنه لا يعبر الا عن جزء من الحقيقة . فمهما قيل في الاصل اللاتيني للغات الفرنسية والاسبانية والايطالية والرومانية فان اختلاف هذه اللغات اليوم عن اللاتينية هو أعظم من اختلاف لغاتنا العامية عن اللغة العربية . ثم ما القول في السكسونية والسلافية ؟ وأى علاقة بين اللغة اليونانية واللغات الاسكندنافية ؟ أو حتى الفرنسية والانجليزية ؟

هذا الخطأ الشائع عندنا يجب أن يزول . فان من آثاره أن نعادل بين تعلم الغربي المثقف لليونانية واللاتينية وبين تعلم أهل الضاد للغة العربية وليست ثمة صلة بين هذ وذاك .

انما يتعلم الغربي اللغات القديمة وآدابها لان حضارته اليوم - وهي المظهر الحي لثقافته - تقوم على

حضارة اليونان والرومان ، وطريقة تفكيره وتمحيصه للاشياء والمعانى يعود الفضل فيه للمعلم الاول . اليونان ، والمنظم الأول . روما .

ومهما قيل فى الثقافة العربية فاننا اليوم ـ كما كنا بالامس ـ سكان شواطىء البحر الأبيض المتوسط.ونحن الآشوريين والفينيقيين والمصريين والمغاربة البربر أنشأنا واتفعنا ، وأثرنا وتأثرنا بحضارة حوض البحر الابيض . ولم يفصلنا عنها الا حادث تاريخى هو غزو سكان صحراء العرب لنا . ولم يقض علينا القضاء المبرم الا حادث تاريخى آخر هو وقوعنا تحت نير المحنة العثمانية

فاذا أردنا اليوم ـ وقد أردنا أن نحتل مركزاً محترماً بين الامم ، فان علينا لا أن نتجه كما فعلنا الى أوربا الحديثة فحسب بل يجب ان نعود ـــ كبلاد الغرب ـــ الى أصول حضارة البحر الأبيض المتوسط بدراسة اليونانية واللاتينية مترجمة الى اللغة العربية ترجمة رسمية دقيقة . والى أن تؤدى هذه الترجمة فلا أقل من أن نتعرف اليها عن طريق الترجمات الغربية .

فهذا المبدأ يكفينى مؤونة سرد أسماء مفكرى وكتاب وشعراء اليونان والرومان وأنا قائل بترجمة مؤلفاتهم دون استثناء . بل ودراسة لفهم ما أمكنت الدراسة .

بقى الشطر الأخير الخاص بدراسات الناس وعنايتهم فى أوربا باتقان لغة أجنبيـة على الاقل . وترجمة نتاج الفكر العالمى الى لغتهم .

أما اللغات الاجنبية فلا شك أننا فى البلاد المتكلمة بالعربية علينا عناية جدية بتعلم لغة واحـدة وأكثر من اللغات الحية . ونحن نعد فى هذا من أحسن الامم تعلما وتملقاً باللغات الحية.لا تيمناًلميزات خاصة فينا وانما بحكم اضطرارنا الى هذا التعليم . فنحن لا نعتقد أن يستطيع الرجل اتيان عمل نافع فى حياة الامة دون اتقانه لغة اجنبية واحدة او اثنتين على الاقل . وكل رجائى فى هـذا السبيل هو أن تزداد عنايتنا باللغات الأجنبية . وأن لا نكتـفى بقشورها بل أن نفرض على الطلبة دراسـة آدابها دراسة مستفيضة .

أما فيما يختص بالكنز الذهنى المشاع بين الامم المتحضرة . وهو الذى يرمى اليها السؤال الثانى من الاستفتاء . فلا شك أن الصحافة العربية والكتاب قد أدوا فى هذا السبيل خدمات لم تقدر بعد التقدير الكافى . وها نحن أولاء منذ نهضة اللغة العربية فى أواخر القرن الماضى نطلع على كثير من

أعمال الترجمة، تشهد لكتابنا بأنهم قاموا في حدود ممكناتهم بقسط كبير مما عليهم نحو ثقافتنا العصرية ونحو تجديد اللغة العربية بترجمة المؤلفات الخالدة في اللغات الأخرى . واذا لم يكن هنا محل سرد أسمائهم فلا أقل من أن نقوم معجبين بواحد منهم كمثل لتلك الحركة المباركة . ذلكم هو سليمان البستاني مترجم الالياذة . وهذا التخصيص لم نلجأ اليه عفواً وانما نحن نضرب به مثلا لأعلى صفات الامانة العلمية والادبية في الرجال ولان سليمان البستاني لم يكتف بالترجمة والتعليق المستنير بل هو قد ساعدنا بمقدمته الرائعة على تفهم ملحمة هوميروس بنوع خاص والادب والحياة اليونانية بنوع عام

ومقدمة الالياذة هذه بالذات تنتقل بنا الى ختام الاستفتاء . وهو هل يغنى تلخيص المؤلفات العربية عن ترجمتها . ؟

والجواب بالنفي البات . فالتلخيص لا يمكن أن يغني عن الترجمة والترجمة الامينة دون اختصار أو اقتضاب . وليس معنى هذا أننا نحكم على التلخيص بالاعدام . فالواقع اننا نعتبره من قبيل التقدمة النافعة لتفهم المؤلفات العالمية . بل نحن نراه ضروريا ضرورة الدليل المكتوب للسائحين عن البلاد التي يزورونها . وكما أن الدليل لا يمكن أن يغني وحده عن فهم عبر سقارة وكنوز الفاتيكان أو البينا كوتيك ، فان التلخيص لا قيمة له دون الاطلاع على الكتاب ذاته

ومع ان اعمال الترجمة مشاع بين الكتاب لا سلطان عليها . إلا ان بعض الأمثلة التي وقعت بين ايدينا من التراجم العربية لكتاب الغرب تجعلنا نبدي رغبة خاصة وهي ان تعنى الحكومات بتوجيه وتشجيع الترجمة الامينة . وان يقسو النقاد على المترجمين الخونة ! ويحذروا القراء من ترجمتهم . وبذلك نضمن السير في طريق سوى نحو اكتساب اعلام الثقافة العالمية غير مشوهة في لغتنا .

واخيرا لا يمكننا ان نهمل مشكلة ثقافية يتعين علينا معالجتها في نفس الوقت وهي تشجيع القراءة . فانني كمصري جاب بعض الاقطار الافريقية والاوربية والاسيوية الاحظ مع شديد الاسف ان المصريين من اقل الشعوب قراءة فالناس هنا لا يقرأون حتى المذكرات التي تعرض عليهم في دواوينهم . وانما يكتفون بالتلخيص ـ ايضا ! ـ الذي يقوم به صغار سكرتيريهم . واذا فكروا بالقراءة في خارج عملهم فانما ينصرفون الى تلك المطبوعات السخيفة التافهة التي

انتشرت بين ظهرانينا كأنها مكملة للاوبئة التى نزلت بمصر فى عهد فرعون موسى . ولكم احزننى منظر كبار رجال القضاء والتشريع والتعليم والطب عندنا فى القطارات يتنقلون بين النوم ومطالعة الجرائد — ولا عيب فى هذين اصلا — وبين مطالعة روايات بوليسية ذات جلدات يقذى منظرها العين بله النفس .

فليس يكفى اذن ان نرسم خطة للترجمة وننفذها وانما يجب فى نفس الوقت ان نشهر تشهيراً بامثال هذا النوع من القراءات . وان نجعل من مقالاتنا فى الصحف والمجلات ، ومن المقدمات والملخصات التى نكتبها للكتب الغربية المترجمة خير دعاية واحسن وسيلة للأخذ بيد فريق المتعلمين فى طريق الثقافة الصحيحة .

حسين فوزى



وحي الناس والحياة اليومية

أليس اجراما منا أن نحاول التحرر من الاستعمار مع أن أخلاق معظمنا أحط من أخلاق الهمج

لكل حياة وحي خاص ووحي البداوة الجهل والفقر والكسل!

من لعنات العقلية البدوية انها لا تحفل بالوقت ولا تباليه فتضحي بالايام من أجل الحصول على لقمة من الطعام عن طريق التسول الذي اعتاد الأجداد أن يسموه — في أيام بداوتهم — كرماً

البشر فراش يحوم حول مصباح الجمال . وكم من ضحية تحترق في جحيمه القتال .

اذا أحبت المرأة رجلا أرادت أن تسمع مديحه حتى من الجماد .

ويل لك من القلوب التي استوت كلومها .

ويل لك من الجائع الذي أشبعته . والعاري الذي كسوته . والمحتاج الذي ازلت حاجته . مع هذا فيجب عليك أن تفعل الخير لتشعر بانك انسان ذو ضمير .

تبدأ هزيمتنا عندما نأخذ بالشكوى ، وتتم الهزيمة يوم يضمحل ايماننا بأنفسنا .

ليس في عقاقير الأطباء ، ولا في مخـــازن الصيادلة ما يلطف آلام قلب جريح كدمعة يجريها الحب الصادق .

استغلال حاجة الفقير نذالة . يجب أن يترفع عنها حتى الصعاليك .

حدد مطامعك قبل أن تحددها الأيام . وهذب أخلاقك قبل أن تتولى الايام والليالي التي ترحم تهذيبها .

البدو شر خلق . وارذل الناس نفساً وأحطهم تصورا

الخيانة بدء هزيمة الرجل في الحياة وفاتحة انحطاطه .

الوهم الذي يدور حول كل شيء أعظم من حقيقته .

اليس عجزنا عن اسعاد من نحب منتهى المرارة النفسية .

تدفع ثمن الحرام أضعاف ما تدفعه للحلال يضاف الى ذلك تعب الضمير وجلد الرأى العام لسمعتك .

السجن المظلم والقبر المعتم أحب الى من مشاهدة بعض الثقلاء

الفضيلة والأخلاق النبيلة والمواطف الشريفة الرقيقة بعض مظاهر الدين فالمتجرد من هذه لادين له وان فعل العجائب . وقطع الحياة بالصوم والصلاة ..

أساس كل علم من علومنا الفرض ولو افنينا حياتنا كلها لنبرهن على حقيقة أحد الفروض برهانا لاريب فيه لما استطعنا ذلك ومع هذا فنحن نقبل علمنا كأنه حقيقة لاريب فيها وان كان أساس علومنا الوهم والخيال . فما لنا نفكر باعظم الحقائق الماثلة أعمالها أمامنا — الله —.

ليس القاتل باشد اجراما ممن يهدم عزة النفس ويعود الناس الضراعة والتسول

أعظم أنواع الشقاء جهلنا اننا سعداء

ستري من تقلبات البشر ما يجعلك نادما على كلمات الثناء التي خلعت بها بعض البشر وكلمات الذم التي اهنت بها بعضهم

تهيء الحياة لبعض البشر ضروبا من السعادة من غير فضيلة صنعوها وتطارد البعض بعنف وهم لم يرتكبوا جريمة وهذه من أعظم البراهين على وجود الحظ أو الصدفة

يبدأ الانسان حياته بالخوف ثم يتدرج الى الغرور وبعد ذلك يصل الى الشك ثم ينتهي به المطاف الى اليأس فلايمان بسخافة كل ما فى الوجود

الاغنياء فى جحيم والفقراء فى جحيم أولئك يخافون وهؤلاء يكافحون

عندما يرتقى الانسان بفكره ويطل من نافذة الحياة ويشاهد البشر يؤذيه ما يرى من اشلاء الضمائر المبعثرة ويؤلمه ما يشاهد من هؤلاء الذين يمثلون ادوار قادة الفكر أحط من الحيوانات

خضوعنا للاوهام والخرافات دليل على أن عقولنا فجة وادمغتنا بدائية وان اصطنعنا كل وسائل المدنية وأساليب التعليم

الطبيعة تهيء كلا منا لعمل خاص

ليست عبقرية من يضع المشروع باعظم من عبقرية من يتولى تنفيذه

اذا أبصرت كل ما حولك يضطرب فاحتفظ بثباتك لأنه ليس فى الوجود ما يستحق الاهتمام

أشكر الذى خدعك لانه علمك الاحتياط وان كان الثمن غالياً .

ويل للعظيم انه يدفع من نفسه ثمناً لعظمته . ويل للعظيم اذا هفا . وويل للعالم من هفوات العظماء

احتياج الشاب درس عملى فى الحياة . واحتياج الشيخ جريمة من جرائم البشرية .

نحن نخسر أولادنا لاننا نحولهم فلاسفة كاذبين بانضاجنا اياهم انضاجا جبريا قبل الاوان و بذلك نحول بينهم و بين غرائز الطفولة

احترام الجمهور لأحد الرجال يكون فى الغالب ناشئا عن احساسه بسمو من يحترم

من قصاصات الله للزانى ـ التى تدل على الحكمة والعدل ـ ان الجريمة تسعى للزانى الى أن يسقط وبعد ذلك يسعى الى الجريمة فتهرب منه فتكون نكبة الحرمان شر قصاص

نقمتنا على الرجل الدنىء فضول منا . يكفى أنه يهدم نفسه بنفسه . وبلاشى سعادته ويرى حياته تضمحل كالدخان . وتضمحل كالصوت فى اللانهاية

لاتلحق خسارتك ضجيجاً . لئلا تخسر مالك وانسانيتك معاً

المصيبة اما ان تعلمنا الاخلاص والرحمة وترفع أنفسنا الى أعلى درجات السمو واما ان تحطم قلوبنا وتلاشى معالم الانسانية منها

كن حملا أبدا حتى والذئاب تحاول أن تمزق لحمك اما اذا أرغمتك الكلاب أن تخوض المعركة فكن أسداً فى همتك

اذا صرعك الاسد فسلم نفسك لانيابه باسماً ولكن حذار أن تسمح للاميبا والخفافيش أن تمتص قطرة من دمك

لايلجأ الى الشدة الا الضعيف ولا فرق بين الضعف المادى والضعف المعنوى

كثيرا ما تكون الشهرة عبئا ثقيل الحمل ولكن ما قيمة الحياة مع الخمول

من أعظم الادلة على فساد حياتنا فى الشرق انها تنتهى أبدا بكراهية شديدة لمن كنا لانحب الحياة الا من أجلهم

عمان ١٦ ديسمبر ١٩٣٧ العزيزى

كتب الشهر الجديدة

١ — مسرحيات توفيق الحكيم — ٦٠٠ صفحة متوسطة — مكتبة النهضة المصرية

٢ — تاريخ الزراعة فى مصر «بالانكليزية» للدكتور مأمون عبد السلام ٥٣ صفحة متوسطة

٣ — اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى ١٠١ صفحة كبيرة لمكتبة النهضة المصرية

٤ — الموسوعة الجغرافية للأساتذة خليل فوزى وسعيد قدرى وصالح عبد العزيز ٥٤٠ صفحة كبيرة لمكتبة سعد مصر

٥ — تفسير قصة أعلام الطريق للأستاذ فكرى ابراهيم «بالانكليزية» ٨٠ صفحة متوسطة

٦ — نور الساقطات أو سيرة جوزفين بطلر للكاتبة بنت الحارث ١٤٩ صفحة متوسطة . لدار الشرق والغرب

* * *

صدر مجلدان جميلان للاستاذ توفيق الحكيم يحتويان ثمانى مسرحيات منها «سر المنتحرة» التى مثلت قبل أسابيع، وبعض هذه المسرحيات كبيرة تحتوى ثلاثة أو أربعة فصول وبعضها صغير لا يزيد على فصل . وهى جميعها موسومة بالطابع الفنى الذى عرفناه فى توفيق الحكيم من براعة الحديث الى الحاسة المسرحية التى تجعل الحوادث تسير فى سياق طبيعى الى المغزى الذى تنتهى اليه الدرامة دون أن يشعر القارىء بأن المؤلف يعتمد الوصول اليه . وتوفيق الحكيم عصرى بل أكاد أقول انه «مستقبلى» وهو من حيث المزاج والذهن ينتسب فى أوقات مختلفة الى شمال البحر المتوسط . ولم ننس بعد غرامه بالقبعة وحماسته لها وهو فى احدى الدرامات يقدم لنا منظراً عن المنزل المصرى ليس كما هو الآن وانما كما يحب توفيق الحكيم أن يراه . ولهذا قلت أنه ليس عصريا فقط بل

هو مستقبلي

ففي درامة صغيرة تحتوي فصلا واحداً وتسمى «جنسنا اللطيــف» يصف المؤلف لنا المرأة المصرية كما ستكون أو كما يخشى بعضهم أنها سوف تكون . فان أمامنا رجلا هو مصطفى افندي قد تزوج سيدة تحترف الطيران . وقد وصل الى البيت وقعد ينتظر زوجته لكي يتغدى معها ولكنها لم تحضر . وهو يسمع أزيز طائرة فيقصد الى النافذة ويطل لعل زوجته هي التي تسوق هذه الطائرة بين السحاب . وهو في هذا اذ بالزوجة تدخل فتجذبه ويشرعان في الحديث . وهو حديث طلى يشترك فيه زائرتان احدهما تحترف المحاماة والاخرى تحترف الصحافة . ويسفر الحديث عن دعوة الزوجة زوجها مصطفى بك بأن يطير معها الى العراق . وهي هنا جريئة مجازفة محرضة في حين هو يبدو خائفاً جباناً محجما . والحديث يجري في خفة ولباقة وفكاهة . فتقول الزوجة بعد أن يعترض الزوج على الطيران اذ ليس هو سماكة تقطع البحار والقفار — تقول الزوجة : المسافة مش بعيدة قوي زي ما أنت فاكر . وتؤيدها الزائرة المحامية فتقول : مسافة بسيطة إيه مصر والعراق دحناجيران فيرد مصطفى بك متهكما : الحيط في الحيط

فتقول الزوجة : مؤكد تعال معايا بس وتجرب وتشوف

ولكي تطمئنه تقول له أنها ستكون معها باراشوت . فاذا حدث للطائرة خطر أمكنـه أن يلبسها وينزل على مهل الى الارض . فيقول هو : شيء جميل : يبقى أول ما تشب حريقة مثلاً في الطيارة اجي أنا لابس الباراشوت واحدف نفسي في الهوا وبعد ما أحزم نفسي خلاص أربعة وعشرين قيراط أشد المفتاح

فتوافق الزوجة على هذا الشرح قائلة له : عليك نور

فيكون جوابه : مفتاح ايه ياست هانم ؟ هو متى أنا ما انحدفت من الطيارة وبصيت لقيت نفسي نازل أرف بقى في عقل يشد مفتاح؟ ولكن على الرغم من هذا الاحجام تقنع الزوجة الطيارة زوجها بالطيران معها الى العراق وهو يصيح بأنه أنقذ من الدار الى النار وهذه . الدرامة هي أقل ما في هذين المجلدين وانما اخترت الكلام عنها توخيا للايجاز الذي يقتضيه هذا الباب فان « سر المنتحرة » تمتع القارىء كما تمتع الناظر وهذا هو الشأن في معظم هذه المسرحيات

وكتاب آخر تلذ قراءته هو « تاريخ الزراعة فى مصر » لمؤلفه الدكتور مأمون عبد السلام وهو بالانجليزية وقد قال انه دراسة موجزة لكتاب كبير سوف يضعه . ولا بد أن المشتغلين بتاريخ الزراعة أو بتاريخ مصر القديمة سيسرون عندما يظهر هذا الكتاب . فان مصر هى التى اخترعت الزراعة . وحسبنا ان نعرف أن الالفاظ العربية حنطة وبر وفوم وقمح كلها مصرية الاصل . ولفظة البقل العربية ترجع الى أصل مصرى هو بقن بمعنى الخضروات ولفظة فول ترجع الى المصرية أو القبطية فولا . ولفظة البرسيم كذلك قبطية مصرية . بل يقول المؤلف ان المصريين عرفوا القطن وزرعوه ونسجوه . وانه كان يسمى نوت كما يسمى القطن الآن فى الحبشة . ولفظة كمون العربية تعود الى جمنين المصرية . والملوخية التى نأكلها هى الميلوخ التى أكلها جدودنا . والبصل عندنا هو البصر عندهم . والثوم عندنا هو الختيوم عندهم . ولفظة الكراث فرعونية لم تتغير . والخبيزى هى الشويزى . وسلة الفلاحين المثنة هى المسنة عند الفراعنة . وكذلك النبق والعنب والتفاح والرمان والتين كلها ترجع الى أصول مصرية قديمة . والورد عندنا هو الورت عند الفراعنة .

هذا قليل من كثير من الفوائد التى يجنيها القارىء من كتاب الدكتور مأمون عبد السلام وهى تشهد بسبق جدودنا فى فنون الزراعة . وانى أنتظر بفارغ الصبر ذلك الكتاب القيم .

ومن أحسن الكتب التى ظهرت فى الشهر الماضى كتاب « اعتقادات فرق المسلمين المشركين » للامام فخر الدين الرازى وقد حرره الأستاذ على سامى النشار وكتب الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك مقدمة له عن المذاهب الصوفية . والرازى هو من العلماء المسلمين الذين عاشوا فى القرن السادس وهذا الكتاب يكاد يكون جدولا موجزا باسماء الفرق التى ظهرت فى الاسلام واليهودية والمسيحية والمجوسية . والمؤلف يقتصر على وصف كل فرقة ومذهبها دون أن يتعرض للانتقاد الا قليلا فيا هو غرض هذه الفرق ومذاهبها . وليس عجيبا من الرازى بعد أن درسها أن يصل الى الحال التى وصفها المحرر بقوله :

« وفى أواخر أيامه وقد بلغ أوج كماله العلمى حدث له ما حدث لابى حامد الغزالى من قبل . فقد نت ثقته بالعقل الانسانى وأحس عجزه وأدرك تماما أنه لا يستطيع الاحاطة بالوجود فى ذاته فادركته حالة صوفيــة كانت تنتابه منها فى بعض مجالس نوبات فيصرخ مستغيثا . وعظ يوما

بحضرة السلطان شهاب الدين الغورى وحصلت له «حال» فاستغاث ياسلطان سلطان العالم لا ساطانك يبقى ولا تلبيس الرازى يبقى . ومن أشعاره التى تحس فيها روح عمر ابن الخيام :

نهاية إقدام العقول عقال — وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا — وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة — فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وهو فى هذه الابيات يصف الثقافة الشائعة فى زمنه ويصف الاجتماع . وكلاهما لم يرض عنه الرازى وقد ختم الرازى كتابه بهذه الكلمة التالية التى تدل على شعوره بالمرارة وخيبة الامل اذ يقول :

« مع هذا فان الأعداء والحساد لا يزالون يطعنون فينا وفى ديننا مع ماعملنا من الجد والاجتهاد فى نصرة اعتقاد اهل السنة والجماعة . ويعتقدون انى لست على مذهب اهل السنة والجماعة . وقد علم العالمون انه ليس مذهبى ولا مذهب اسلافى الا مذهب اهل السنة والجماعة »

واخر الكتب التى نذكرها هو كتاب الموسوعة الجغرافية . ومما سيسر كل مصرى ان يجد كتابا فى هذا العلم يبلغ اكثر من خمسمائة صفحة كبيرة . وهذا الكتاب ثلاثة من المعلمين هم الاساتذة خليل فوزى وسعيد قدرى وصالح عبد العزيز . وثلاثتهم يدرسون المواد الاجتماعية . وهذا الكتاب الذى وضع للسنة التوجيهية يختص بشرح العلاقة بين الطبيعة والانسان او بين الجغرافية والتاريخ . وهو اذا كان قد وضع فى الاصل للطبيعة فان القارىء العادى ينتفع كثيرا بقراءته . وانا انقل الفقرة التالية منه على سبيل المثال :

«الانسان نوع من منتجات الارض . وليس هذا معناه ان الانسان ابن الارض فقط وترابا من ترابها ولكنه ربيب هذه الارض . فهى ربته كما تربى الام ابنها . وهى التى وضعت امامه الاعمال ووجهت افكاره وجلبت امامه المشاكل . وهذه فى دورها قوت جسمه وجعلته حاد الذهن وسببت مشاكله المتعلقة بالملاحة والرى . وفى الوقت نفسه عرفته طريقة حل هذه الاشياء وأذن فقد تدخلت الارض فى كل شىء خاص بالانسان حتى تركيب عظامه ونسيجه . وفى عقله

وروحه. وكما رأينا أن البيئة لها أكبر اثر فى جسم الانسان اذ انها على الجبال قد وهبته عضلات فى الارجل فولاذية يتمكن بها من الصعود. وعلى السواحل قد استعاضت عن ذلك وعوضته ساعدين قويين وصدرا حديديا لكى يتمكن بهما من القبض على المجداف. وفى أودية الانهار وهبته خواص تختلف من خواص الجبال والسواحل فانبعثت عليه روح الخضوع والاستكانة والاتصال بالتربة. وهى نفسها التى ضيقت سلسلة افكاره وقصرتها على افق زراعية. وهناك فى الهضاب الواسعة حيث تهب الرياح وفى الارض العشبية والبطاح الصحراوية الواسعة حيث يجول بقطيعه من مرعى الى آخر ومن واحة الى ثانية يجد ان افكاره فى منتهى البساطة. فتجد عنده قد نبتت فكرة وحدانية الله لاشريك له»

وهذا الكلام حسن بل تفكير مثقف نحتاج اليه فى نهضتنا الحاضرة

وضع الاستاذ فكرى ابراهيم مذكرات بالانجليزية عن دراسة «اعلام الطريق» الانجليزية. وهى الدراسة التى قررت للسنة التوجيهية هذا العام. وقد تتبع العبارات الاصطلاحية بالتفسير الانجليزى واحيانا العربى كما شرح الدراسة شرحا وافيا يسهل على التلميذ درسها وتفهم مغزاها

«نور الساقطات» هى سيرة جوزفين بطلر السيدة الانجليزية التى وقفت حياتها على انقاذ النسوة الساقطات. والقارىء لسيرتها يخرج من الكتاب وهو احمى شعورا وابر قلبا مما كانت. وحبذا مثل هذه الكتب تنقل الى اللغة العربية فتنقل الينا العواطف الراقية تجند للبر والخير. ومتى عرف القارىء المصرى مثل هذه السير استطاع أن يقف منها على معنى خفى من معانى الحياة الصالحة. ودار الشرق والغرب التى اخرجتها تستحق الثناء كل الثناء

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

الثيوقراطية

قلق كثير من المصريين للغط الذى فشا هذه الأيام عن مظاهرات الطلبة الأزهريين ونداءاتهم وتصريحات بعض أساتذتهم . ومع أننا نعتقد أن كل ماجرى إنما هو الى الآن لغط لاقيمة كبيرة له فاننا لا نستطيع أن ننكر بعض آثاره الواقعة أو المنتظرة

وخلاصة ما يقوله المتحمسون أن الحكومة المصرية يجب أن تتبع دستور الاسلام وأن قانون العقوبات يجب ألا يخالف الشريعة من حيث قطع يد السارق ونحو ذلك وقد غاب عن هؤلاء المتحمسين أن الدين مثل أعلى وأن الحكومات البشرية لاتستطيع أن تبلغ هذا المثل ولو جهدت . وهذه المسيحية التى تقول بالسلام العام لانجد حكومة واحدة اوربية تعمل بها . بل كل منهن مع الايمان بهذه الديانة تعد العدة للحرب وتستعد للقتال لأنها تجد أن مقتضيات العصر الحديث تطالبها بذلك

ولسنا ننكر ما يثبته التاريخ وهو أن حكومات كثيرة كانت ثيوقراطية أى كانت قوانينها شريعة الدين وحكامها كهنته أو رجاله . وقد كان هذا شأن حكومات الاسرائيليين ومعظم الحكومات الاسلامية فى بغداد والقاهرة . ولكن ليس هذا حجة علينا حتى نجعل حكومتنا ثيوقراطية فربما كانت تلك الحكومات الثيوقراطية أحسن ما كان يمكن من الحكومات فى ذلك العصر وتلك البيئة . أما فى الوقت الحاضر فليس هناك من الظروف ما يلائم الثيوقراطية أى حكومة رجال الدين

وذلك أن الحكومة فى العصر الحديث قد أصبحت تمارس فنونا دقيقة فى الهندسة والطب والاقتصاد والاجتماع . وهى تحتاج لهذا السبب الى الاختصاصيين الذين يجب أن تخضع لمشورتهم

ومشورة أمثالهم من الفنيين فى التعليم والصحة والحرب والصناعة والزراعة . ورجل الدين إذا سيطر على هؤلاء كان فى سيطرته تعطيل لهم إذ هو غريب بثقافته عن فنونهم بل ربما تبعثه هذه الثقافة على معارضتهم

وقد عرفنا فى عصرنا حكومتين اثنتين تسلط على كل منهما رجال الدين أى الكهنة هما حكومة روسيا التى يعزى تأخرها مدة القياصرة الى هؤلاء الكهنة كما يعزى خرابها الاخير فى الحرب الكبرى اليهم . وليس الالحاد العام فى روسيا الشيوعية الحاضرة سوى الرجع المنطق للتسلط الكنسى مدة القياصرة . ثم أيضا — بدرجة أصغر — حكومة أسبانيا التى تسلط فيها القسيسون الكاثوليك . فان الفوضى القائمة التى تأكل جسمها وتمزق أعضاءها تعود الى هذا التسلط

ثم هذه السيطرة الدينية فى كل من روسيا وأسبانيا قد قطعت مابينهما وبين موكب الحضارة الاوربية . فان اسبانيا كما يقول أبناؤها لاتزال الى الآن قطعة من افريقيا كما أن روسيا كانت عند نهاية الحرب الكبرى قطعة من آسيا لاتعرف من المتعلمين سوى نحو ٢٠ أو ٣٠ فى المائة

وهناك من يقول بأن الحكومة البريطانية هى حكومة دينية مع أن هذا القول مغالطة مضحكة . فان كل ماتفعله الحكومة البريطانية انها تساعد الكنيسة الانجيلية وتعترف بوجودها . ولكن هذه المساعدة لاتمنعها من الاعتراف بالزواج المدنى ومن احترام حقوق الملحدين وحمايتهم فى المتنزهات العامة حين يقفون ويخطبون فى الدفاع عن الالحاد

وهكذا الشأن فى هولندا التى تساعد الكنيسة اليهودية كما تساعد الكنيسة المسيحية بمذهبيها . ولكن رجال الدين فى كل من هولندا وبريطانيا لا يتسلطون على الحكومة بل لا يكاد يكون لهم أثر فى سن قوانينها . وآخر مانذكر من ذلك القانون الانجليزى الذى ينص على زواج أخت الزوجة المتوفاة . فان رجال الكنيسة عارضوا هذا القانون ولكن البرلمان لم يبال رأيهم . والكنيسة المسيحية لاتقبل طلاقاً غير طلاق الزانية . ومع ذلك فى كل دولة قوانين تبيح الطلاق للمتزوجين لأسباب مختلفة قد تبلغ العشرة

ان العصر الحديث بمطالبه المتعددة يطلب حكومات مدنية . وقد مضى عصر الثيوقراطية . وقام مقامه عصر الديمقراطية

حماية المزارعين والفلاحين

أذاعت الجرائد أن وزير المالية ينظر فى مشروع تسوية الديون العقارية وهو المشروع الذى كانت الوزارة السابقة قد هيأته . ونحن نرجو أن يكون نظر الوزير الجديد لزيادة الخدمة للمزارعين، فان أزمتهم لم تنته بل هى فى ازدياد مطرد عاماً بعد آخر . ومهما قدم لهم من المعونة فانها لن تكون أكبر من الضيق الذى يعانونه

واذا كانت الحكومة السابقة قد هيأت هذا المشروع لخدمة المزارعين المالكين أو بالأحرى لصيانة العقارات الزراعية حتى لاتخرج الى أيد أجنبية فان مما يجب على الوزارة القائمة أن تفكر فى حماية الفلاح الأجير الذى لايملك شيئاً سوى كد يديه . وليس له من رأس مال سوى ماشيته وأدواته الزراعية . بل هناك مالكون مزارعون يزرعون أرضهم بأنفسهم وهم لا يزيدون فى مستوى المعيشة أو الكسب إلا قليلا جداً على الفلاحين الأجراء . فهؤلاء يستحقون حماية الحكومة لهم من الازمات وخاصة من المرابين الذين يستغلونهم . فان كل من اختبر الحياة الريفية يعرف كيف يشترى المالك الصغير أو الفلاح المستأجر بذور القطن أو القمح بالربا الفاحش الذى يزيد سعره على مائة أو مائتين فى المائة

وهؤلاء المساكين يبيعون محصولاتهم بمجرد جنيها وبأرخص الاثمان بل هم يبيعون محصولات البيت كالجبن والزبدة والبيض والفراخ بأرخص الاثمان أيضا لكى يسدوا ديون هؤلاء المرابين . وعند جميع الأمم الزراعية ضروب من حماية هؤلاء الفلاحين . ونحن ننقل فيما يلى على سبيل المثال بعض ماعملته بولونيا كما جاء فى تقرير وزير مصر المفوض فى فارسوفيا . فهو يقول :

« أما القوانين التى صدرت لعلاج مشكلة الديون الزراعية فى بولندا فتنقسم إلى قسمين:

« أولا — القوانين الصادرة لحماية العقارات الزراعية من خطر نزعها وفاء لدين زراعى ، ومنها قانونان يرميان إلى ما يأتى :

« ١ — عدم جواز الحجز على الحيوانات والأدوات الزراعية إلا اذا حجز عليهما مع العقار المتعلقة به .

« ٢ — عدم جواز البيع الجبرى بأقل من نصف القيمة الفعلية للمنقولات الزراعية وثلثى القيمة للعقارات

« ٣ — جواز وقف اجراءات البيع الجبرى لمدة سنة اذا توافرت شروط حددها القانون ، ويمكن أن تزاد هذه المدة سنة أخرى .

« ثانيا — القوانين الصادرة بانشاء مكاتب الصلح بين الدائنين والمدينين ومد اجال تقسيط الديون ، مع تخفيض فائدتها .

«وتختلف الاجراءات المتبعة باختلاف صفة الدائن إن كان فرداً أو مصرفا . وقد خص المشرع الديون المتعاقد عليها مع الأفراد باهتمام شديد، نظراً إلى أنها تؤلف نصف الديون الزراعية تقريباً . ولأن المرابين يتقاضون عنها أرباحا باهظة »

هذا هو ماتفعله بولونيا . ونحن يهمنا من كل هذه القوانين ذلك الخاص بتحريم توقيع الحجز على الماشية والأدوات الزراعية . فان كثيرين من المرابين والمالكين وخاصة كبارهم قد أوقعوا الفلاحين فى بؤرة من الفاقة والحرمان ببيع ماشيتهم . والفلاح الذى تباع جاموسته قلما يستطيع أن ينهض بعد ذلك . إذ هو يتأخر فى زراعته ولا يمكنه أن يجمع ثمن جاموسة أخرى إلا بعد السنوات الطويلة

بل ليس من مصلحة الزراعة المصرية أن تباع الماشية التى هى الوسيلة الكبرى للزراعة سواء أكان بعملها فى الحرث والسق وغيرهما أم بروثها الذى لايمكن أن تستغنى عنه التربة المصرية مهما كثرت الأسمدة الكيماوية

إن مشروع القانون الذى يدرسه وزير المالية الآن هو من عمل الوزارة الماضية التى يرجع اليها وحدها الفضل فيه ولكن وزير المالية الحاضر يمكنه أن يزيد عليه إذا شاء بعض المواد التى تزيد فى حماية العقارات المصرية وألا ينسى مع ذلك هذه القوانين التى تعمل بها بولونيا لخدمة الفلاح الأجير والمالك الصغير قبل المالك الكبير

الاضطرابات في افريقيا الشمالية

تتواتر أخبار الاضطرابات فى تونس والمغرب الاقصى أى مانسميه مراكش . فان الانباء التلغرافية تقول أنه حدث هياج فى بيزرتة جرح فيه بعض الجنود والشرطة وقتل من الأهالى خمسة وجرح عدد كبير . هذا فى تونس أما فى المغرب فان الهياج لاينقطع وخاصة فى فاس . فان الاهالى أغاروا على ممتلكات الفرنسيين وزاد الشغب فنهبت بعض المخازن

وقد كادت الحكومة الفرنسية تعزى نفسها الى وقت قريب بأن هذه الاضطرابات انما يقوم بها دعاة الفتنة المأجورون الذين ينالون مكافآتهم من ايطاليا أو ألمانيا . ولكن حتى على فرض أن لهاتين الدولتين دخلا فى احداث هذه الاضطرابات فان من الصعب جدا أن يصدق الانسان أن تستمر هذه الاضطرابات طول هذه المدة بقوة هذا العامل وحده . وقصارى ما نستطيع أن نفهمه من ادعاء التحريض من ألمانيا وايطاليا ومن استخدام ذهبهما أن هناك فى كل من المغرب وتونس سخطاً عاما على الحكم الفرنسى قد استغلته هاتان الدولتان

ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا السخط . وقبل أن نبين أسبابه ونرجع عوامله الى أصولها يجب أن نلق نظرة عاجلة على هذه الاقطار الثلاثة التى تحكمها فرنسا . وأقدم هذه الاقطار هو الجزائر التى احتفل الفرنسيون قبل عام بمرور مائة سنة على فتحها والانتصار على بطلها العظيم الأمير الجزائرى . فان فرنسا نجحت فى استعمار هذا القطر العظيم بان قمعت جميع العوامل التى تعمل للوطنية والشخصية القومية . وأحالت الجزائريين الى فرنسيين يتعلمون فى المدارس الابتدائية حروف الهجاء الفرنسية بدلا من الحروف العربية

وقد اعتنق عدد كبير منهم المسيحية الكاثوليكية . وضمت الجزائر الى فرنسا وجعل فى برلمان باريس نواب من الجزائريين واستهلكت القومية الجزائرية بان غمرت البلاد بالالوف من المهاجرين الفرنسيين الذين استولوا على البقاع الزراعية الشمالية وغرسوها بالكروم . ولعل مما يستغربه القارىء أن يعرف أن فرنسا المسيحية تستورد النبيذ من الجزائر المسلمة ، وهذا وحده يدلنا على أن الجزائريين

نسوا قوميتهم . ولذلك لا نكاد نسمع عن اضطراب صغير يحــدث فى الجزائر ازاء الاضطرابات الخطيرة التى نسمع عنها فى تونس والمغرب

أما تونس فان الفرنسيين احتلوها قبل نحو ستين عاما . ومع أن القومية التونسية قد أذيت الى حد ما فى سبيل من الهجرة الايطالية والفرنسية فانها لا تزال على شىء من التماسك . وقد طرد الفرنسيون التونسيين من الاقاليم الشمالية واستعمروها لانفسهم كما فعلوا فى الجزائر . ولكن التونسيين الذين احتفظوا بدينهم ولغتهم استطاعوا فى الاقاليم الجنوبية أن يحتفظوا بقوميتهم . وليس شىء يحفظ للأمة تماسكها وكيانها مثل الدين واللغة بل اللغة العربية هنا أقوى من جميع اللغات فى هذا الميدان لاتصالها الشديد بالدين . وتعليم اللغة العربية كان ولا يزال فى كثير من الاقطار العربية تعليما للدين ومن هنا قيمتها الكبيرة فى الاحتفاظ بالقومية العربية . وهى القومية التى حاربتها فرنسا فى الجزائر باللغة الفرنسية ونجحت فى ذلك نجاحا يأسف له كل عربى

أما المغرب الاقصى فان تاريخ الفرنسيين فيه يرجع الى سنة الاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا بشأن مصر ومراكش . وكان اللورد كرومر يدعيه . فان فرنسا تعهدت بالكف عن معاكسة بريطانيا فى مصر وبريطانيا تعهدت باطلاق يد فرنسا فى المغرب . وكان ذلك سنة ١٩٠٤ . وكان اتفاقا قذراً كله مطامع استعمارية خسيسة والى هــذا الاتفاق تعزى الى حد ما الحرب الكبرى . وقد تركت فرنسا للمغرب سلطانها كما تركت الباى فى تونس . وكلاهما لا يخالف لها نصيحة

والدعوة الى الاستقلال هى الان على أقواها فى تونس والمغرب الاقصى . وقد كان لموقف فرنسا الذى اتخذته ضد الثائر الاسبانى فرانكو وتحيزها للحكومة الجمهورية الاسبانية بعض الاثر فى تحريض المراكشيين . فان فرانكو رأى من مصلحته أن يشغل الفرنسيين بثورة أو اضطراب فى المغرب ونجح بعض الشىء فى ذلك

ولكن يجب ألا ننخدع بأقوال الفرنسيين واتهاماتهم . فان تحريض ايطاليا وألمانيا وفرانكو لا يكفى لاحداث هذه الاضطرابات التى تتواتر . لان الحقيقة أن هــذه الحركات الوطنية ليست مصطنعة بل هى طبيعية تعبر عن الشعور العام بين التونسيين والمغاربة . وقد قلنا إن بقاء اللغة العربية قد خدم القومية العربية . ولكن هذه القومية كان تمكن أن تبقى نائمة فى لفائف القرون الوسطى لو لم

تحفزها الثقافة الاوربية الحديثة الى التنبه والنهوض . فان «الوطنية» من المعانى الاوربية الحديثة التى أخذناها عن الاوربيين ولم ترد قطاق معجم عربى - ولذلك فان دعاة الوطنية فى جميع الاقطار العربية ورجالها المضحين وثارها وثورها معاً هم أولئك الذين عرفوا الثقافة العصرية وغذوا أذهانهم بالاراء الاجتماعية والسياسية الحديثة واستطاعوا أن ينقلوا هذه الاراء الى أوطانهم ويحركوا الركود الشرقى الاسن فيها . ولكنهم لم يكونوا ليستطيعوا تحريكه لو كانت هذه الاقطار قد فقدت الرابطة اللغوية كما أن هذه الحركات الوطنية لم تكن لتنشأ وتنمو لو أن الثقافة العامة عند هذه الامم كانت شرقية محضة

ودعاة الوطنية فى المغرب وفى تونس شبان قد تعلموا فى فرنسا وانجلترا ودرسوا النظريات الحديثة . ولهم لهذا السبب قلوب جريئة وأذهان مضيئة كما لهم ايمان بالبشرية وكراهة للتواكل الشرقى والصوفية التى تدعو الى القناعة بالعيش الذليل .



صادق عنبر

توفى فى الشهر الماضى المرحوم الاستاذ صادق عنبر . وقد عاش يتقلب بين التعليم والصحافة والتأليف .وعرف عنه أسلوب انشائى يصفه أصدقاؤه بالبلاغة ويرى فيه خصومه بهرجاً لا قيمة له

وأعظم ميزات هذا الاسلوب بل الميزة الوحيدة موسيقية عباراته . وصادق عنبر هنا لا يختلف كثيراً من المرحوم مصطفى الرافعى أو الاستاذ حسن الزيات . وان كان فى التفكير دون الرفعى . كما أن جهله بلغة أجنبية حديثة حالت دون وقوفه على شيء من الأدب الأوربى الذى نرى أثره الحسن فى الزيات

ولكن كل هؤلاء صادق عنبر والزيات والرافعى والمنفلوطى ينظرون — مع اختلافات صغيرة — الى الأدب كأنه أو كأن أهم مافيه نظام الالفاظ ورنينها وانسجام العبارة وحلاوتها أو موسيقيتها . ولذلك لانرى لواحد منهم فلسفة أو حتى دعاية . وليس لواحد منهم عناية ببرنامج اصلاحى اجتماعى أو اقتصادى . وهم لهذا السبب بعيدون عن الايديولوجية العصرية أى مجموعة الآراء والافكار التى يسير بها العالم الحديث فى اجتماعه وسياسته . وهم أيضاً لهذا السبب لا يوجهون قراءهم وجهة معينة

لأنهم يمتعون بتسليتهم ولو انحطت هذه التسلية الى مجرد التخدير الذى ينشأ من الرنين الموسيقى للالفاظ

تحدث الاستاذ توفيق حبيب عن صادق عنبر فقال عنه « لا يهمه من الصحيفة صورها ولا أخبارها ولا تلغرافاتها ولا مباحثاتها الاقتصادية ولا غير ذلك من أمور بعيدة عن اللفظ الفحل والمعنى السامى »

وهذا على الرغم من أن الدنيا لم تكن فى عصر من العصور الماضية عرضة لتطورات بل انقلابات كالتى تعانيها الآن . فان الشيوعية والفاشية والديمقراطية والامبراطورية فى صراع لا ينقطع . والعلوم تهىء الخطائر الخفية اما لهلاك الانسان واما لسعادته . والتقاليد تتلاشى ولا تأخذ مكانها تقاليد جديدة . وازاء هذه الحال يشعر الرجل المثقف انه مطالب بذكائه ومروءته أن يدرس هذه الدنيا وان يساعد على انتشالها من غمرتها . فان الحرب التى يتلظى الصينيون بنارها والتى تقتل نساءهم وأطفالهم قبل رجالهم تطالب المصرى البار المثقف أن يدرس دعوة السلم والاديب الذى لا يبالى شقاء الصينيين ولا يؤلمه تقتيلهم وتدمير بلادهم لا يعرف شيئا من الأدب لأنه أقل ما يوصف به هنا انه جامد الاحساس . وكذلك الأديب الذى يؤلف العبارات المونقة عن الفقر وليس له برنامج لازالة هذا الفقر من مصر انما يعد أدبه دعوى زائفة

تحدث أحد الكتاب الانجليز عن نفسه فقال انه نوى أن يكون فيلسوفا وشرع يدرس فى همة ومثابرة الفلسفات القديمة والحديثة ولكنه انتهى بترك الفلسفة ودراسة الاقتصاديات . وذلك لأنه أحس بسيادة المبادىء الاقتصادية للعالم المتمدن وان هذه المبادىء هى التى تقرر الاجتماع والسياسة وتوجد العلوم والآداب والفنون . لا بل هى التى توجه — الى حد بعيد — الفلسفة نفسها

ومن منا يمكنه أن يلومه على ذلك ؟ أليس كارل ماركس الآن أعمق أثراً فى الاجتماع الأوربى من أفلاطون وسقراط ؟ وما غاية الأدب اذا تجاهلنا أثر العوامل الاقتصادية المختلفة فى الهيئة الاجتماعية ان سعادة وان شقاء وان جمالا وان قبحاً ؟

وهذا الرنين الموسيقى الذى عنى به كتابنا وأرصدوا له أقلامهم قد شاع بين القراء عادة وطريقة تخدرهم وتعوقهم عن الدرس الجدى . ولذلك أصبح شبابنا يجهل مسائل العالم وينظر للدنيا نظرة

قروية ولا يحب من الجرائد والمجلات غير حلاوة الالفاظ والنوادر والمضحكات والمسليات . كأنه يريد أن يعيش وهو غائب عن الدنيا مستريح من مشاكلها . وإذا استمرت هذه الحال فان الجمهور لن يشتغل بالمسائل المصرية العامة بجد واهتمام . إذ من هم الذين يوجهونه وجهة البر بالفقراء غير الأدباء ؟ ومن هم الذين يوجهونه وجهة السلم والحرية والديمقراطية غير الأدباء ؟

مساكين شباننا الذين لايجدون من الادب المصرى سوى المحذوات الانشائية وقتل الوقت بالالفاظ الرنانة والعبارات المنسجمة

العناية بالفقراء

فى هذه السنوات الأربع الاخيرة تنبهت الامة والحكومة معاً الى ضرورة العناية بالفقراء . فرأينا حركة انشاء الملاجىء للعجزة والايتام . وهى حركة واقعها نقائص ولكن هذه النقائص ليست أصيلة فيها وانما هى ترجع الى قلة خبرتنا فى هذه المبرات وإيجاد الهيئة اللائقة لها من الموظفين . ثم كانت الحركة الميمونة التى قام بها بعض الاطباء فى تنبيه الاذهان عن الخطر الداهم من تعميم الرى الدائم بتفشى الامراض بين الفلاحين . ومما نفخر به اننا دأبنا منذ سنوات فى تنبيه الرأى العام عن هذا الخطر

ثم كانت بعد ذلك جهود مختلفة ربما كان أهمها فى نظرنا مشروع المجموعات القروية الذى قام به الدكتور محمد عبد الواحد الوكيل . فان هذا المشروع يرمى الى إيجاد « وحدات » قروية تؤلف من طبيب وموظف اجتماعى وآخر زراعى وزائرة أى سيدة تزور البيوت وتتعرف بروح الحب الى الفلاحين والفلاحات وتصلح بقدر المستطاع من شئونهم المنزلية . ونحن نرجو أن يلقى هذا المشروع اكبر العناية من الوزارة الحاضرة

ثم لاننسى مدرسة الخدمة الاجتماعية التى عنى بانشائها الاستاذ أحمد نجيب الهلالى . ونحن نعتقد أن هذه المدرسة سوف تكون بذرة صالحة ستنبت شجرة باسقة وتزودنا بأحسن الثمرات فى أشخاص

خريجيها الذين يخدمون جمهور الفقراء ويكافحون الفاقة والمرض اضاعفا تهما من رذائل أو جرائم

وها نحن نسمع هذه الايام بتأليف لجنة فى وزارة الصحة « لتحسين صحة الفقراء فى المدن والقرى وتجميل الحياة لهم » ويسرنا أن يكون الدكتور عبد الواحد الوكيل صاحب مشروع المجموعات القروية عضواً فيها . فانه رجل جد وبر معاً يخدم الفقراء بنشاط وأمانة ودراية

وجميع هذه الهيئات التى ألفت أو فى طور التصميم يراد منها العناية بصحة الفقراء ورقيهم الاجتماعى والاقتصادى. وهذه روح طيبة وهى البرهان الناصع على أن ضمير الامة قد تنبه الى الشقاء الذى تحدثه الفاقة والى أننا قد أصبحنا الى حد ما متمدنين نفهم الرقى بمعناه السامى وهو تعميم السعادة والرفاهية بين جميع أبناء الامة

ويجب هنا أن نلفت النظر الى تلميذ المدرسة قبل كل شىء . فان تلاميذنا فى مدارسنا المختلفة يمثلون الجيل القادم وهم أولى من الكبار بالعناية لهذا السبب ولان العناية الصحية بالكبار تكون عادة قليلة الفائدة ولكنها كبيرة الفائدة جداً مع الصغار . وهذا هو ما يجرى فى أقطار أوربا المتقدمة. وبين تلاميذنا عدد كبير جدا ربما يبلغ أربعين أو خمسين فى المائة من المجموع تتضح آثار سوء الصحة على وجوههم وأبدانهم . وقد عنيت وزارة المعارف بتعميم الرياضة البدنية بين جميع التلاميذ ولكن يجب الا ننسى أن الجسم الجائع الضعيف يتضرر بالرياضة ولا ينتفع بها سوى الجسم السليم المغذى. فيجب أن نوفر للتلاميذ الفقراء الغذاء الحسن قبل أن نوفر لهم الرياضة البدنية . وبهذه المناسبة نقول أنه صدر تقرير فى انجلترا عن عدد التلاميذ الذين يشربون اللبن بالمجان أو بنصف ثمنه فى المدارس فبلغوا فى السنة الماضية ٢٥٣٠٠٠٠ وهذا غير التلاميذ الذين تقدم لهم وجبة كاملة أى الغداء بالمجان

ونحن نعتقد أن تقديم اللبن لبعض صبياننا يجب أن يفضل على تثقيف أجسامهم أو أذهانهم بالرياضة البدنية أو بمختلف الدراسات . فان صحة الجسم هى شرط أساسى للذكاء الذى يحتاج اليه الدرس والنجاح بعد ترك المدرسة

والعناية بالفقراء تتناول المسكن والعمل والغذاء والتثقيف . ولكن أهم هذه الاشياء للصحة هو الغذاء . وهو ما يجب أن نوفره لتلاميذنا قبل كل شىء . ولسنا نعنى اهمال سائر الصبيان. فان الصبي المتشرد يحتاج الى عناية كبيرة لا يمكن أن نقول أن الملاجىء تقوم بها . وقد عنيت جمعية الشبان

المسيحية بإنشاء نادٍ للصبيان المحرومين يعتبر فى ميدانه الصغير « مجموعة » اجتماعية لخدمة هؤلاء الصبيان من حيث العناية بصحتهم وترقية بيئتهم الاجتماعية والاقتصادية . ويحسن الحكومة لو أنها درست هذا المشروع الذى هو من المبتكرات الحديثة

وخلاصة القول أننا مع استبشارنا بالهيئات الجديدة التى أنشئت أو التى ستنشأ لكافحة الفاقة ومضاعفاتها فى مصر ريفاً وحضراً يجب ألا ننسى أن العبرة بالتنفيذ والسرعة . وخير البر عاجله

التطور

فرنسيس ماسون مع نخبة من العلماء الامريكيين ألفوا كتابا فى التطور اسمه « الخلق بطريق التطور » والغرض من هذا الكتاب هو اثبات خلق الانواع الحيوانية والنباتية المختلفة عن طريق التطور دون التعرض للبحث فى منشأ الحياة ، أو الغاية من تطورها مما يتصل بأمور فلسفية اكثر منها علمية .

ومما جاء فى هذا الكتاب عن العلم والايمان أن الناحية الايجابية للدين هى الشعور بأننا نعيش فى هذا العالم وهو البيت الذى أعدلنا فيترتب على ذلك الشىء الكثير من المنافع والقيم ، وعلى ذلك فالتعرض لدراسة الحياة التى حولنا فى صورها المختلفة لا يجب ان يقيم حربا بين العلم والدين ، وانما هو حرب لابد منه تشهره الحقيقة المبصرة على العقيدة الجامدة العمياء

وفكرة الانسان عن الخلق موجودة منذ القدم بصور متباينة تختلف باختلاف الشعوب وبتعاقب العصور

ولكن الخلق بطريق التطور هو اسمى انواع الخلق التى تصورها الانسان حتى الآن ، وفى كل خطوة من خطواته يرينا التطور بشكل واضح ملموس عظم فكر الخالق وقدرته مما يستدعى التمجيد

ن . ش .

ايصالات الاشتراك

جميع ايصالات الاشتراك يجب أن تكون موقعة بامضاء صاحب المجلة الجديدة

الاشتراك فى المجلة الجديدة

١— الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية فى مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢— الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و ٢٥ قرشا لستة أشهر

٣— الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و ٣٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و ٥٠ قرشا لستة أشهر .

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)